الغرفة
بلهيص محمد أمين

مقدمة

مرحبا بكم جميعا، أود في البداية شكر كل من دعمني وشجعني على المضي في هذا الطريق وأود إحاطتكم علما بأن الشخصية الرئيسية في الكتاب هي شخصية افتراضية والأحداث الخاصة المسرودة هي من وحي الخيال لكن الأحداث الأخرى هي مزيج مع كل ما نراه ونعيشه يوميا، ولكي لا أطيل أتمنى لكم قراءة ممتعة.

الغرفة

لكل منا غرفة ولكل غرفة باب ولكل باب مفتاح لكن في بعض الأحيان لاتكون الأمور كما تبدوا ولايكون مفهموم الغرفة هو نفس المفهوم الذي نعرفه جميعا فالبعض منا لايعلم بعد بانه سجين الغرفة، وانا اكتب هذه الاسطر صدقوني ينتابني شعور غريب لانه من كثرة الاحداث وقسوة الظروف احاول ان ابدأ من مكان ما، الحسرة والخوف والاشتياق والامل الصغير الذي بقي في قلبي اليائس لكل منهم قصة وظرفية معينة ،فكرت ان ابدأ من البداية فوجدت اني تألمت منذ الطفولة، تألمت لكن كتمت في قلبي ولم أحدث أحدا عن أي شيء ربما لاني كنت طفلا لديه إدراك للأمور المحيطة به بالرغم من صغر السن، كنت أرى شجار والداي الدائم بسبب عائلة أبي وأتظاهر بأني نائم ثم استيقظ خفية واستعد للتدخل إذا مادعت الضرورة، في نظري كانت عائلة أبي كمصاص الدماء الذي لايتوقف حتى يستنزف آخر نقطة دماء من جسد الضحية، عند ذهابنا لزيارتهم في الأعياد كنت أسمع وأرى توصيات عمتي لابنتها بأن تجلس أمام ابي حتى تحصل على نقود العيد، لم تكن تنتبه لوجودي وهي تتحدث ولا أعلم لماذا لربما كنت غير مرئي في منزلي لان والداي كانو ينشغلون بهموم الكل إلا شؤوني لكن كيف لا يلاحظني حتى الآخرون هذا ما لم أفهمه، لكن تلك الابتسامة الغبية التي كنت أراها على وجوه أفراد عائلتي حين ينهون كلامهم السخيف وخططهم الرخيصة بين بعضهم البعض وينتبهون لجلوسي أمامهم كانت مضحكة وتدعو للسخرية، يعتقدون اني لم أفهم لصغر سني واتركهم يعتقدون مايريدون لكن من جهة أخرى كنت اتألم عندما يحصلون على ما أرادو بينما انا أراقب في صمت، أبي كان يصرف على الكل لإحساسه بالمسؤولية لكنه كان يهملني من دون قصد ولم أكن أفهم لماذا فمثلا إبن عمي كان يرتدي ملابس افضل من ملابسي في العيد وعندما أسأله من اشترى لك هذه الملابس يبتسم ويقول والدك فيتشكل لدي حزن صغير في قلبي الصغير ذلك الوقت، لكني لا أفتح فمي

ولاأتذمر ربما لأني لم أكن لأحس بشيء لو حصلت عليه بالطلب، ذلك الشيء هو الاهتمام والشعور بأنك أولوية في حياة والديك وللأسف استمر الوضع كذلك إلى غاية يومي هذا وأنا أكتب هذه الأسطر، عندما استرجع الذكريات أجد في كل الزوايا أجزاء من قلبي متناثرة هنا وهناك، ضاعت اموال والدي وهو يحاول أن يعيل جيشا من البشر في عائلته بينما أحس كأني في عزلة، لم نكن نسافر أبدا لأنه كان يعمل باستمرار، في فصل الصيف مثلا كنت أرى جميع من في الحي يذهبون لمكان ما بينما أقضي أنا عطلتي في الغرفة، أرى جدالا تلو الجدال فأمي كانت تحاول جاهدة ان تنير بصيرة والدي لكنه يسكتها في كل مرة بصراخه ثم يبدأ بتكسيرالكؤوس وأثاث البيت حتى يستقيظ الرجل المختبئ في جسمي الصغير ويلقي بي وسط دوامة الصراع فيتراجع والدي خطوة ثم خطوتين إلى أن يشعل سجارة لتهدئة فوران دمه.

كم هوشيء سيء أن تكون عصبيا وفي نفس الوقت ساذجا لأنك ستستيقظ بعد فوات الأوان، استمرت المشاكل واستمر استغلال العائلة الى أن تدهورت أحوالنا المادية ثم بدأت الصفعات تنهال على وجه أبي المسكين فالكل أدار ظهره ونكر الجميل ووصل الحال بأحد أعمامي الى البحث عن طريقة لمطالبته بارباح العمل في إرث العائلة، لم نسلم منه إلا حين أصيب بمرض خبيث و لا أعلم ما إذا كانت عدالة إلاهية لأني لا اتمنى لأحد ذلك الحال وظننت انه سيصبح شخصا جيدا بعد ذلك لكن شخصيته كانت أشبه بذيل الكلب الذي لايستقيم أبدا، أشخاص مثله يعيشون طويلا عادة ولايغادرون هذه الحياة باكرا أبدا بل يرسلون من يحيطون بهم قبلهم، لا أعلم هل يتسببون بموتهم أو أنه عطف إلاهي يعفيهم منهم، بالرغم من كل شيء كنت سعيدا فلقد كنت انتظر قدوم أخي بفارغ الصبر لكي يؤنس وحدتي غير أني لم أكن أعلم بأن القادم هو نسخة أسوء حتى من عمي، لم أكن أتخيل يوما انني سأكون حبيس الغرفة حتى أسلم ولو قليلا من مشاكله فهي لا تنتهي صدقوني لاتنتهي، كنت دائما أصرخ وأقول في صغري بأني لن أتزوج ويبدو بأني أكاد أقتنع بتلك الفكرة التي قلتها ببراءة وأنا

طفل صغيرلأني أخشى من إبن يحرمني حتى راحة النوم في الليل، أصابتنا كل أنواع المشاكل بسببه وأصبحت حبيس الغرفة لا أخرج كثيرا خشية وقوع مصيبة وأنا غائب، كلما حل الليل انتظر دخوله البيت حتى لا أستيقظ على صراخ والدي عليه في الهاتف، انام نوما متقطعا باستمرار و أستيقظ على كوابيس هو بطلها الأول دائما، لم أعد اتشاجر معه في مرحلة ما لاني تأكدت بأن الضرب لاينفع معه ولا حتى الكلام بالحسنى فشخصيته مريضة وغريبة، أقسم انه لو زار طبيبا نفسيا سينام بسببه ذلك الطبيب في المستشفى بقية حياته، لم ينفع أي حل معه وأجبرت على مشاركته العيش وتحمله حتى أصبحت كالحارس الشخصي للبيت، كالجندي الذي يحاول حل المشاكل والتخفيف على والدايه ووسط كل هذا كنت قد نسيت نفسي حقا، كنت قد أصبحت غير مرئي حتى لنفسي، فقدت شعوري بالحياة وانشغلت بمغامراته اليومية الى غاية كتابتي لهذه الأسطر فغايتي ليست سرد قصة فلكل واحد منا قصة يرويها وظروف قاسية عاشها في السابق، أنا أكتب لعل كلماتي توقظ أحد الغافلين مثلي حتى لاينسى كل من مر من هنا أن له حياة خاصة عليه التركيز عليها لانه مهما ضحينا فعند ارتكابنا لأبسط شيء لايناسب المحيطين بنا سيضحون بنا، سينفقوننا كما تنفق النقود ولن يتذكروا أي تضحية قدمناها في طريق الحياة الذي سلكناه سوية، كم أندم لأني لم أكن أنانيا كالآخرين وسمحت لنفسي بالتأثر بمشاكل الغيرولو كان يربطنا رابط الدم، لم أتفطن إلى أنني كنت بنفس سذاجة أبي فالفرق الوحيد انه لم يكن لدي مال لأنفقه طوال مشواري، سنوات مرت وأنا كالحاضر الغائب الذي توضعت كل أنواع الهموم على قلبه لكني إسيقظت، وإن كان الوقت قد تأخر قليلا لايهم فالاستيقاظ وسط الطريق أفضل من النوم كل الدهر.

لازلت في غرفتي لكني أغلق بابي ولا أسمح بمرور المشاكل، نعم أتاثر قليلا عند سماعها لكني عاهدت نفسي على مجابهة مخاوفي فلن أسمح لأي شيء بأن يحزنني لأن الحياة تنتهي كيفما كان الحال، فكرة أننا مجرد مسافرين في هذه الحياة أنقذتني من شعور دقات القلب المتسارعة كل

دقيقة ومن الإحساس الذي يجعلنا نتوقع حدوث مصيبة كلما تعالت الاصوات قليلا في نواحي الحي، أستمتع بمشاهدة كل ما هو مضحك وابتسم ولا أبالي فكلنا سنغادر يوما هذه الدنيا سواء فرحنا أو شعرنا بالحزن لذلك إضحكوا وإستمتعوا باللحظة ففي لحظة معينة من الحياة ستشفقون على أنفسكم لأنكم حزنتم يوما بسبب شيء ما، فكيفما كان الحال كلنا مسافرون، شركاء طريق في هذه الحياة ليس أكثر، للبعض منا طريق سهل وللبعض الآخر طريق صعب، للبعض هناك خيارات وللبعض الآخر هناك دعاء وطلب للاستجابة، أتجول في حسابي الازرق وأرى كما هائلا من المشاكل والمعانات، البكاء في اغلب الفيديوهات ولكل قصة مختلفة يرويها وكأن العالم تحول لجحيم حقيقي، وأنا أشاهد بكاء الكبير والصغير أتساءل بماذا سنجيب الله عز وجل حين يسألنا عن شبابنا ومالنا وصحتنا في ما أهدرناهم، سؤال صعب لأنه لم تكن لنا حتى فرصة القيام بشيء لأن أغلبية الناس تعاني منذ الطفولة، الكل حرم من ميزة الحلم بغد مشرق حتى وكأننا نسير في نفق مظلم دون رؤية ذلك النور الصغير والبعيد في نهاية هذا النفق، أصبحنا سجناء غرفنا وعزلنا في عالم إفتراضي أزرق كالبحر العميق نشكوا فيه همومنا ونفرغ فيه طاقتنا دون أن نبذل ولو جهدا صغيرا لتغيير واقعنا، استسلمنا باكرا ولم نناضل، خسرنا المعركة قبل أن تبدأ ولم نقدر على من كانوا سببا في أحوالنا هذه، كيف سمحنا لمن لاثقافة له ولاتعليم ولاحنكة ولارؤية استراتيجية أو مستقبيلية بأن يكون ربان السفينة وكيف ننتظر مستقبلا مشرقا وكل محركات هذه السفينة قد تم تعطيلها، هنيئا لنا جميعا لقد تمت المهمة بنجاح ولم تبقى فائدة من توجيه أصابع الاتهام لأي كان فالكل ساهم في هذا الانجاز العظيم، البطالة والسرقة والتعسف من قبل المسؤولين وصولا لاختطاف الاطفال واغتصابهم والمتاجرة بأعضائهم، كل هذا والكل في حالة استنفار للتعليق أو تغيير صورة حسابه الشخصي تضامنا مع قضية ما لكن بطريقة افتراضية فهذا كل ماأمكننا القيام به ونحن سجناء غرفنا، أتذكر كل يوم سؤالا شهيرا تم طرحه علينا جميعا ونحن أطفال، وهو "ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟"

كلنا أجبنا ببراءة وتشوقنا لتحقيق تلك الاحلام لكن كم منا حققها؟ وكم منا أصبح سعيدا عند تحقيقها؟ أصبحت أبحث عن السعادة كمن يبحث عن كنز في صحراء قاحلة وتجاوزت حتى من فشلوا في تحقيق أحلامهم وركزت لبضعة ليالي مع الناجحين لعل مزاجي يتغير قليلا وأنا أقرأ إنجازاتهم كي ترسم ولو بسمة صغيرة على وجهي ويفتح باب الأمل من جديد لأستطيع التنفس مجددا لكني إصطدمت بمعاناتهم أيضا، ليسوا سعداء فهناك من يضغط عليهم ويعكرصفو حياتهم، العائلة من جهة وأعين الحاسدين والحاقدين من جهة أخرى، يتربصون بهم كما يتربص الفهد بفريسته فلم يتقبلوا نجاحهم ولم يعطوهم الفرصة للنجاة لعلهم يعودوا بحبل الإغاثة وينقذوا العالقين في الخلف، ضاق صدري أكثر مما كان وتساءلت ماهو الحل لو كنت مكانهم، كيف السبيل لإنقاذ الكل فلن أسعد إن تجاهلت ولا إن ساعدت، في أي متاهة وقعنا وكيف تراضي حتى أقرب الناس إليك دون أن تهمل نفسك، أين العلماء اللذين برعوا في حل المعادلات لكي يجدوا لنا حلا لهذه المعضلة الاجتماعية فلم نستفد شيئا بمعادلاتهم ليومنا هذا في علاقاتنا بالغير، لم أجد مخرجا فنظرت لباب غرفتي الذي فتحته قبل كتابتي للأسطر القليلة السابقة وقررت التجاهل، مضت أيام لم أكترث فيها حتى لتاريخ اليوم ومضت أيام لم أستطع الرد حتى على رسالة صديقي فليس هناك شيء جديد نتحدث عنه، أغلقت باب الغرفة وأغمضت عيناي وحلمت بكل ما أرغب به، تخيلت العالم الذي تمنيته تاركا ورائي كل شيء سلبي وركضت وراء حلمي بزيارة كل البلدان حرا طليقا كالطائر في السماء بدون قيد أو شرط مدركا بأنها مجرد أحلام يقظة، لكنني استمررت بالحلم ولم أبالي حتى أحسست بنبضات قلبي من جديد وادركت حينها بأني لازلت على قيد الحياة، فتحت عيناي عائدا من رحلتي الصغيرة وسمعت صراخ جاري الاعتيادي على إبنه المنبوذ ثم شجار جيراننا الآخرين مع سفيه الحي الذي يقلق راحتهم دائما ثم لمحت جارتنا عاشقة النميمة وهي تراقب كالمحقق السري حتى تجد موضوع الغد للانقضاض على سكان الحي، بين من هوغاضب ومن هو يراقب مبتسما فرحا بمعاناة الآخر أحسست بسخافة كل شيء يدور من حولي بل لم أجد سببا مقنعا للشجار أو

لتمني السوء والمشاكل للآخرين فكلنا مسافرين، فما هوالداعي لتهويل الأمور وما الداعي للمراقبة دون التدخل لحل تلك المشاكل الصغيرة لم أفهم، هل هو الفراغ أم فطرة الإنسان أم التربية أم أن هذا هو الأمر الطبيعي، لم أجد الإجابة فأغلقت نافذت الغرفة أيضا حتى لاتدخل المشاكل من جديد وكأنني في ميدان الحرب محاصرمن كل جهة،فلا فتح الباب أعطاني السكينة ولا حتى فتح النافذة لاستنشاق قليل من الهواء أفادني، وكأني إستنشقت جرعة هموم مركزة كادت تفقدني الوعي، لم أجد سبيلا سوى النوم أملا في معجزة تغير عالمي في اليوم الموالي وياليتني لم أستيقظ لأنه وبمجرد فتح عيناي من جديد إصطدمت بخبر انتشار فيروس معدي أشبه بالطاعون شل حركة العالم كله لدرجة أني إشتقت لشجارالجيران وتحقيق جارتنا المستمر، لم يبقى في الشوارع سوى الحيوانات تصول وتجول وكأنها إرتاحت من البشر ومن مشاكلهم، سيطر الرعب والخوف من الموت على الجميع وكأننا خالدين وبدأت رحلة البحث عن إكسير الحياة فالكل يريد جرعة لكي لايترك باكرا، إبتسمت ساخرا من اللذين كانوا يتشاطرون كعكة الناس لوحدهم وتساءلت مافائدة ما أكلوا بنهم متجاهلين الكل إن كانوا على حافة الهاوية الآن، بل تخيلتهم على رقعة مسطحة فوق قمة جبل حاد يحاولون ضبط توازنهم من جديد، كانوا قد وقفوا في زوايا الرقعة كالاوتاد يستمدون التوازن من بعضهم البعض متجاهلين كل من يوجد في قاعدة الجبل، لكنهم كانوا مذعورين من فكرة موت أحدهم في أي لحظة لأن ذلك يعني نهاية الحفلة والسقوط من القمة، لوهلة شعرت بالفرح لأنني من ضيوف القاعدة لكن سرعان ماغيرت رأيي حين بدأ الكل يتهافت على كل وسيلة للحياة، تدافعوا وتسابقوا وأخرجوا كل قذاراتهم وحولوها لأفعال ولم يرحموا بعضهم البعض فتساءلت لما لمت أصحاب القمة إذا كانوا يتشاطرون نفس خصال ضيوف القاعدة، هي مسألة فرص فقط ويتحول الكل لنفس الشيء، أحسست وكأني أشاهد مسلسل السائرين الأموات فالكل ترك لمصيره ولم تمد يد لأحد، تجاهل الكل بعضهم البعض لدرجة أني إعتقدت بأنه يوم الحشر فالكل يقول نفسي نفسي، غابت الكلمات ولم أجد عبارة واحدة

للتعبير وتساءلت أتراني بالغت قليلا أم انني فعلا وصفتهم بالوصف الصحيح، أغلقت باب الغرفة من جديد وأطفأت التلفاز وجهاز توصيل الانترنت واغمضت عيناي من جديد مستمعا لموسيقى الامل وتخيلت عالمي الافتراضي مجددا حتى أحسست بنبضات قلبي مرة أخرى، وكأنني أحتضروأستعمل قنينة أكسجين لكي أتنفس وأستمر في رحلة البحث عن حل للخروج من الغرفة ومواجهة صعاب الخارج،لكن ماذا لوكانت الغرفة هي ذلك الحل أصلا، أتساءل عن أولئك اللذين ربطوا السعادة بالمال لأنني سعيد في مجرد غرفة صغيرة بعد أن أرهقتني المشاكل فلو كنت فاحش الثراء مثلا ماذا سأشتري لكي يرتاح بالي، لاأجد دواء غير منزل بعيد عن الضجيج، أي أني سأحصل على مساحة أكبر من مساحة غرفتي فقط وسأستمر بنفس الشكل كالهارب من شبح المشاكل فمن المستحيل السيطرة على الأوضاع كليا لأن الخارج أصبح مثل الداخل ولقد أصيب الجميع بفيروس الهم وليس كورونا وأظن أن من ماتوا قد ارتاحوا فعلا إن كانوا قد أحسنوا صنعا في حياتهم، فهل بقي هناك من يحزن على هكذا حياة؟

لم أستطع أن أجيب على السؤال الأخير حقا لأن شيئا تحرك في قلبي بمجرد تساؤلي، وكأنها شرارة التحدي أو عنادي الذي يعشق مجابهة كل الظروف أو ربما هي شخصيتي التي وبالرغم من كل العقبات وبالرغم من سقوطي المتكرر تدفعني للنهوض ولاترضى ببقائي طريحا على الأرض، لن أجيب بذلك الجواب الكلاسيكي الذي يقوله الكثير وأجزم بأنه لم يعد أحد يحزن على هذه الحياة فأنا أرغب بمغادرتها وأنا فائز فلست راضيا بأن أكون مجرد ممثل ثانوي في هذا المسلسل، طموحي كبيرلدرجة أنه هو الذي يرفعني إلى فوق كلما سقطت، لكن عند كل إصطدام وسقوط ينتابني شعور مرعب فأخشى حتى النظر للأعلى لأنني على علم بأني سأرى شيئا مخيفا كالوحش، أغمض عيناي وأمد يدي لأنهض تلقائيا وكأن شيئا لم يحدث وأستمر متجاهلا خسارتي الجديدة، لا أستطيع أن أغادر وأنا أحس أن قلبي يكاد يخرج من جسدي للركض فهولايريد السكون ولايريد الخضوع ولا الخنوع، يا إلاهي في أي جسد سقطت روحي فلازلت أرغب

بالقتال رغما عن ندرة الفرص فلا أتقبل الفشل على نفسي خاصة عندما أعود من رحلات أحلامي، فإذا كان الهم يضيق على صدري كل ثانية أعيشها فإن دقيقة واحدة من أحلام يقظتي تدفعه أميالا للخلف كلما اغلقت عيناي وفتحتها من جديد،إن الأمل المتجدد في عقلي هو شراب الحياة بالنسبة لي فلن أخسر معركتي سوى إن نسيت أحلامي ومسحت كليا من عقلي، من يستطيع أن يواجه طموحي المتوحش هذا فليتفضل للميدان لأني أحس وكأن مابداخلي أشبه بحيوان الكيوبي المخيف لا أستطيع السيطرة عليه أبدا مهما فعلت، فهوعند الخسارة يدفعني للوقوف مجددا لإرتباطنا الدائم فنهايتي تعني نهايته، كلما حاولت إقناعه بالاستسلام للواقع يستنفرويتمرد لدرجة إحساسي بقلبي وهو يحاول الخروج من جسدي ويضغط على كل أضلاعي ولايهدأ سوى عند وقوفي متحديا أمواج الحياة مرة أخرى، فهمت بأنني لن أتراجع ولن أتأثر كالسابق بهموم لم يكن لي دخل في حدوثها أصلا ولن أرضى بقوانين طبقت علي وعلى أقراني وحكمت علينا بالعيش كالنكرة في عالم واسع شاسع، إن أخرجوني من الباب فسأدخل من النافذة وإن أجبروني على البقاء في الغرفة فسأجبرهم على رؤيتي وسأجبرهم على إعطائي نفس القيمة التي أعطيها لنفسي فهي لاتباع ولاتشترى بل تنتج في داخلنا مثلما ينتج الأدرينالين في أجسادنا عند تحمسنا بشدة، فتحت باب الغرفة مدركا بأن المواجهة لن تكون سهلة فالحياة أصلا لم تكن عادلة يوما مع أي منا، هي حقيقة أصبحنا ندركها جميعا لكني لن أتراجع وسوف أمضي في طريقي متحديا ومستمرا في البحث عن فرصتي بأي شكل كان، لن أختار طرقا رخيصة وفاشلة أثبتت سابقا مدى فشلها على الامد البعيد فما يبدأ بشكل خاطئ ينتهي بشكل مفجع، أدرك بأن الطريق طويل وربما يستغرق زمنا أطول لكني أتشجع كلما تذكرت طريقة فوز السلحفاة على الارنب في حكايات الطفولة، بالصبر والعمل المتواصل والشوق لشعور الفوز في نهاية هذا الطريق إنطلقت بالفعل رغم أني كنت قد نسيت حقا كم من الوقت جلست في غرفتي فلم أكن أحس بمرور الوقت أبدا،عندما خرجت أحسست مجددا بندرة الفرص، طرقت الباب تلو الآخر دون جدوى وتابعت عروض

العمل على جميع المواقع أيضا لكنها كانت مخصصة فقط للإناث وكأننا في عالم الأمازونيات، فلو إستمر الحال هكذا بالفعل سننقرض وستتجسد تلك الخرافة على أرض الواقع، استغربت لهذا الحال فعلا وإن كنت أكثر من يؤيد عمل المرأة فلايمكنني تجاهل مكانتها أبدا ولايمكنني تجاهل شدة بعض أشباه الرجال عليها فقد رأيت كثيرا كيف تكون قيمتها إن كانت دون مهنة، حتى لو كان الزوج صالحا لربما يتوفى غدا ولربما يحصل طلاق مفاجئ أيضا، شعور صعب حين نعيش أحاسيس متضاربة كهذه فمثلا كلما رأيت إمرأة مجبرة على العيش مع مدمن خمر او قمار أو نساء فقط لأنه ليس هناك شخص تلجأ له أشعر بغضب شديد،لاينتهي هذا الغضب وأنا أشاهد تنازع الجنسين في عالم أزرق إفتراضي بل يزداد كلما قرأت تعاليقهم التي تنقص من قيمة المرأة العربية فلقد خلقنا جميعا من عرق واحد، ولا أتقبل أيضا عندما أرى أنثى تنتقص من قيمة الرجل العربي وتتحدث بغرور لمجرد ضمانها لمسيرتها المهنية فأتساءل ما الحل، لماذا لم تدرج مادة في مقرراتنا الدراسية تربينا على احترام بعضنا البعض ولما يتم تجاهل مبدأ المساوات في العمل مثلا ولماذا ينتجون الحقد بين الجنسين حتى أصبح العربي يرغب في أجنبية والعربية ترغب في أجنبي ويشمئزون من عرقهم وبني جلدتهم، انها ثقافة جديدة تنبئ بمستقبل مهترئ وعقيم من كل النواحي فنحن نتحول لشيء مخيف مع الوقت أشبه بالزومبي، لا أحاسيس ولارغبات فقط نسير خلف رائحة الدماء المتمثلة في النقود، تجاهلنا القيم ولم نعد متضامنين وأصبحنا كالدمى المحركة بالخيوط، تقيدنا ولم نعد نعلم من يحركنا ولأننا لانقرأ لم نعالج نواقصنا الشخصية فلا أحد منا كامل، لم نعد نقرأ سوى فضائح بعضنا البعض ولم نعد نتابع سوى فيديوهات لفضائح جنسية، لم تبقى حرية شخصية ولم نعد نهتم بشخصياتنا التي أصبحت عقيمة مع مرور الزمن فمتى كان الاهتمام بنشر الفضيحة أهم من سترها ومحاولة تقديم يد المساعدة، متى أصبحنا هكذا ومتى سنحس بمستوى الوحل على أقدامنا، لقد غاب من ينشر الخير وجاء من ينشر الفتن وكل هذا في فضاء وهمي صغير جدا يقضي كل يوم

علينا على مهل، القليل منا فقط أدركوا اللعبة لكن موعد الاستيقاظ من هذا السبات العميق لايزال مجهولا.

أحسست بثقل جسدي فجأة وبألم شديد في رأسي فأغمضت عيناي مرة أخرى وسافرت الى عالمي الخاص حتى لاينخفض توتر نبضات قلبي أكثر،فرسمت البسمة من جديد على وجهي وأنا أرى نفسي بطلا لقصتي ولاأحتاج سوى لبدء شيء والعمل عليه حتى أصل لمرادي، تخيلت نفسي خلف أضواء الكاميرات أقوم بأكثر شيء أحبه وأجيده وأعشقه، وتخيلت مختلف المناظر التي أرغب برؤيتها في مختلف الدول والتي أتابعها فقط من وراء شاشة حاسوبي وأحسست بمدى سهولة تحقيقها لوتكافأت الفرص، خفق قلبي بشدة وانتشرت جرعة أدرينالين طبيعية في كل أنحاء جسمي ثم فتحت عيناي مرة أخرى لأتابع المسير في عالم يبدوا فيه الطيبون كالقراصنة ويبدوا الأشرار كالشرطة البحرية، يحاولون بشتى الطرق كبح حركة القراصنة متحججين بضبط القوانين وعدم السماح لهم بإفتعال المشاكل، كيف تقاضي القاضي هذه هي معضلة هذا الزمن، لكي نفعل علينا أن نكون لاعبي شطرنج متمرسين فقضاة اليوم ليسوا أذكياء كما يبدوا عليهم وهم يتحدثون على الهواء مباشرة، فبعضهم مسكين لدرجة لا تصدق فإن فتحت له موضوعا ثقافيا أو إجتماعيا رقصت شفتيه رقصة التانغو أو السالسا خوفا وبحثا عن الكلمات والأفكار المناسبة للتعبير، أما إن فاتحته عن كيفية إنجاز بعض الأشياء المظلمة وتجاوز بعض القوانين أصبح فمه كالصنبور المعطل لاتتوقف الخطط عن السيلان ولتحول لبابلواسكوبار صغير في طور النمو، كم أصبح المقنعون كثرا اليوم وأنا أراهم حولي وعلى شاشات التلفاز أتذكرتساؤلي وأنا صغير عن موعد إعلان النمر المقنع عن شخصيته الحقيقية ، وأحس وكأن أحدا سوف يوقفني يوما في الطريق ويخبرني بأنه يعلم كل شيء عني وأنني كنت فأر تجارب وأن والداي ليسوا بوالداي وإنما مجرد مشاركين في هذه التجربة وأن كل مايحيط بي هو واقع مزيف، وكأنهم سيقولون لي هنيئا لك فلقد تحملت بشكل جيد وكنت النسخة الناجحة من المجموعة التي وضعناها قيد

الدراسة والتحليل، لقد تحمل هذا الجيل الكثير بالفعل ولربما يرى البعض منا أن هناك من عاشوا حروبا ومجاعات لا تخطر على بالنا وبأننا أفضل حالا منهم بكثير، حقا لقد كانوا في حالة مزرية لكننا في حالة أسوء وأصعب لأن كل شيء متاح في يومنا هذا ولانستطيع أن نأخذ شيئا، عندما لايتوفرالشيء أصلا فإننا نتقبل الأمر ونلجأ للعمل لإكتشاف سبيل لتغيير الوضع لكن في حالتنا نحن كل شيء متوفر ولانستطيع الحصول على أي شيء، إن الأمر أشبه بتعذيب نفسي يجعلنا نتآكل من الداخل كل يوم ويوصل بعضنا إلى حافة الموت حتى أن البعض تركونا باكرا وإنتحروا لكي يتخلصوا من هذا العبأ، أصبح الكثيرمنا يحسون أنهم مجرد ضيوف في موطنهم الأصلي، وأنا منهم أحس في بعض الأحيان بأني في الغربة حتى أني أحس بالعنصرية في طريقة تعامل الكثيرين، وأنا أتجول في عالمي الأزرق لفت إنتباهي مدى تأثر الشباب بتصرفات عائلاتهم، كفتاة كانت تشكوا همها لأصدقائها في مجموعة ما عن مدى ضغط والديها عليها طالبين منها أن تجد عملا بأي شكل كان وكأن فرص العمل مشتتة على أرصفة الطريق ولم تهتم لها، كانت تتكلم بحرقة شديدة فذهب تفكيري لفتيات الهوى وكم من واحدة كانت ضحية لمثل هذه التصرفات، كم من أنثى إستسلمت وذرفت دموع اليأس على فراش غريب ما وأحست بوحدة شديدة رغم كل المحيطين بها، تلك الوحدة القاتلة التي تجعلنا نتحول من شيء إلى شيء آخربالرغم من تواجد سقف بإمكانه حمايتنا فنفقد أنفسنا عند مرحلة ما ونبدأ بلوم آبائنا بعبارات كلماذا أحضرتمونا إلى هذا العالم،لماذا أجبرتمونا على عيش هكذا أوضاع ولماذا تضغطون علينا الآن بينما تأزمت أحوال العالم فلاحول لنا ولاقوة، لم أستطع قراءة المزيد لأن عقلي تخدر بكلمات تلك الفتاة فختمت جولتي بقصة شاب حكى معاناته اليومية، كيف يتجول بسيرته الذاتية في طرقات المدينة حتى لايسمع صراخ والدته وإهانتها له والتقليل من قيمته كلما حل صباح جديد، كيف أنه كان يتجول بين الأزقة حاملا في يديه ملخص سنوات من الدراسة والعمل الجاد ليعود ويختبئ في غرفته خوفا من أقل توتر يجعلها تنعته بالمرأة المختبئة في البيت، كيف أنه وجد الحل في سهر الليل كي ينام

طويلا في الصباح ويتجنب سماع كلماتها القاسية، وهو يتكلم أحسست لأي درجة قد كسرت ثقته بنفسه وكيف انتشر اليأس في قلبه وكأنه كان يتمنى النوم كل الدهر هربا من سخرية القريب والبعيد فالضرب أو نعت الرجل بالمرأة وإهانته وقد خلقه الله عز وجل بكرامته وكتب عليه تلك المشقة ليس عادلا فلم يختر أي منا مستقبله بنفسه وإلا لكان الكل سعداء، لم أقدر على قراءة قصة أخرى فوضعت حاسوبي جانبا وأغمضت عيناي حتى أسافر لعالمي الخاص حيث كل شيء سهل ولا أحد يحفر لأحد أو يقطع رزق أحد، عالمي كان مزدهرا ومشعا وعادلا أتنقل فيه من مكان لآخر، أقوم بتصوير أشياء مختلفة وأرى حضارات وثقافات متنوعة، عالم لا أحس فيه بضغط العمل حيث أني أقوم بشيء أحبه ويساعدني على كسب رزقي، الحرية كانت عنوان عالمي الخاص حيث أرى نفسي كطائر الألباتروس" القرطس" الذي يحلق وحيدا بأجنحته الكبيرة و القوية، يذهب أين شاء ولايكترث لأي شيء ولايتسع له أي مكان، كم هو رائع ذلك الإحساس وكم أرغب في تحقيقه في يوم ما وإن كانت الظروف غير ملائمة، كلما ودعت عالمي الخاص وفتحت عيناي عائدا لعالم مظلم أصبحنا نعيش فيه ونحن نشعر بالأسى على أنفسنا أختنق شيئا فشيئا لكني أستطيع التنفس بفضل رحلاتي الخيالية التي لاتدوم سوى لوقت قصير، لو حاول كل منا تغيير نفسه فقط ولو قليلا للأفضل متأكد بأن كل شيء من حولنا سيتغير، فقط لو يتوقف الناس عن هضم حقوق بعضهم البعض ويخشون إلاها واحدا قهارا يراقبنا كل يوم لن يبقى أي مشكل على الإطلاق، لكن للأسف أصبحنا نعيش وكأننا لن نغادر أبدا فغابت الطمأنينة عن بيوت الجميع، إفترق الأحبة والإخوة والأصدقاء وكأننا عشنا حربا دامية، فضلنا المال وتخلينا عن المشاعر وتحججنا بأن الأحاسيس لاتشبع البطون، قمنا بالخيانة وقدمنا أعذارقذرة لبعضنا البعض، سرقنا من الطبق الذي أكلنا منه الطعام وتحججنا بالرغبة في المزيد، طعنا كل من ساعدنا من الخلف وأجبنا بأن الثقة العمياء تقود صاحبها للهاوية، أخذنا شرف من وثق بنا وإرتمينا في أحضان الأفاعي وكأننا نعاقب أصحاب القلوب النقية المتبقين كما يعاقب شعب الإيغور فلا يوجد إختلاف، الهدف واحد وهو

إجبار الأقلية على إتباع خطى الأغلبية، كلما رغبنا بشيء جميل تذكرنا الماضي البعيد حيث كان لايزال هناك ناس طيبون، تذكرنا طفولتنا وكم كنا سعداء وتمنينا لو أن الزمن يعود بنا للوراء، غريب كيف نفكر دائما فيما مضى ولا نحاول صنع مستقبل مثله على الأقل أو أفضل، أمضينا سنين عمرنا بالتمني وإنتظار الفارس المنقذ الذي لانعلم عنه أي شيء، فلا أعلم بوجود نبوءة تحكي قصة بطل يغير المستقبل ويخرج الناس من دوامة الفشل والحروب فلا يغير الله مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، تلك كلمات خالقنا قد أرانا مسبقا كيف السبيل إلى التغيير لكن الكل يحس بالتعب ولايرغب بالنضال سوى القليل.

وأنا أتجول في الحي أتذكر ذكريات الطفولة وكم كانت مضحكة، فمثلا تذكرت جارنا الذي سبقنا إلى دار البقاء يوم حاول أحد سكان الحي الإعتداء عليه وهو منتشي فقام برفع عباءته للأعلى حتى ظهر سرواله الداخلي وركض بسرعة تفوقت على سرعة الحسين بولت تاركا صديقه البقال في المواجهة وسلاحه الوحيد هداك الله يافلان أتركني وشأني، يا إلاهي كم ضحت وكم كان شخصا طيبا، ولازلت أتذكر كيف كان يمر شهر رمضان في الحي المجاور مع أحد سكان الحي المصابين بوسواس الأحياء ففي كل يوم من أيام ذلك الشهر الفضيل هناك عراك مع أحد أفراد الحي حتى أصبح كالمسلسل بالنسبة لنا، كلما تبقت ساعتين عن آذان المغرب نحتشد بالقرب من منزله لمتابعة قتال ذلك اليوم حتى أننا لقبنا تلك الفترة بيوميات رشيد، ولا أنسى كيف كنا نوقف سيارات الأجرة للسؤال عن الساعة لإثارة غضبهم وخاصة يوم سقط صديق لنا في الفخ وحصل على لكمة في عينه اليمنى جعلته يختفي أسبوعين في المنزل خجلا من سخريتنا، في كل زاوية لنا ذكريات نتذكرها اليوم ونحن مدركين لمدى صعوبة عيش لحظات ممتعة كتلك اللحظات، كل منا إنشغل بالبحث عن زورق نجاته بينما لم يجد الناجين من شاركوهم لحظاتهم الممتعة إلى جانبهم لأنهم لم ينجوا بعد ولايزالون سجناء الغرفة.

أصبح العمل شعار هذه الحقبة فمن حصل عليه وكأنما أنجز إنجازا عظيما حتى لوكان سن هذا الشخص صغيرا فتجد العائلة مثلا تدعوه لمأدبة غداء أو عشاء كل حين، أندهش لمثل هذه التصرفات فحتى حين يتحدثون يقولون فلان قادم وكأنه شخصية مهمة وحين أسأل عن مهنته أجدها عادية جدا حتى أقل من العادية في بعض الأحيان نظرا لراتب تلك الوظيفة لكن أفراد العائلة يتصرفون بشكل مختلف حقا، حتى في الأسرة أي أقرب الناس لنا نجد نفس الشيء، الوالدة مثلا تتعامل مع الإبن أو الإبنة الموظف(ة) بشكل مختلف عن بقية أفراد تلك الأسرة، الإهتمام وتحضير الطعام وتخصيص أشهى الأطباق والكلمة الطيبة كلها من نصيب من يشتغل ولديه عمل لكن الأمر يتغير إذا فقده يوما ما لأنه يتحول في الحين في عيني والديه إلى فاشل وعالة وحتى إمرأة تجلس في البيت، إن كان محظوظا لن ينعت بالمرأة مباشرة لكن ستتحدث نظرات والديه لا محال، في الحقيقة من أخبرونا بالدراسة بجد للحصول على عمل قد كذبوا علينا أو أوهمونا لأنهم لم يذكروا لنا أين تنفع الدراسة أقصد في أي بلد أو مدينة لأن الكثيرين درسوا لكن لم يجدوا أي عمل، في بلدنا العظيم على سبيل المثال لايكفي أن تدرس بل يجب أن يتحدث عنك شخص له مكانة مهمة عند أرباب العمل لكي تحصل على فرصة، سنوات مضت بين ذهاب وإياب لتحصيل العلم لكي يجلس الكل في غرفته الخاصة في آخر المطاف، ومايثير الجنون هو رؤية أناس يتحكمون في زمام الأمور وهم لايفقهون لاقولا ولا علما حتى أنهم لايتكلمون لغتهم الأم بالشكل الصحيح، أصاب اليأس كل الشباب فاتجهوا لقوارب الموت لعلهم يفلتوا بجلدهم هذه المرة، منهم من مات ومنهم من نجى بأعجوبة ومنهم من تعرض للنصب وضاعت تلك الورقات النقدية القليلة التي جمعها بشق الأنفس من هنا وهناك وعاد يجر قدميه، واحدة يتقدم بها خطوة للأمام والأخرى ترجعه للوراء، عادوا خائفين من المجهول ومن نظرات العائلة والجيران فهذا المجتمع لايرحم.

كم من أسرة وجدت نفسها في مساحة معلومة كل في غرفته الخاصة وكم من أسرة تقاسمت نفس الغرفة بسبب البطالة، عندما تحصل أمور كهذه يبدأ الجميع بالشجارحتى على أبسط الأمور، الصراخ يصبح إعتياديا كآذان الصلاة فلو وجد المال لتفرق كل شخص لمكان مختلف لكن عند غيابه يتجمعون في مكان واحد ولايسلم أي شخص من كلمات الآخر، وأنا أشاهد نشرات الأخبار أستغرب لما يذاع ولمن يتحدثون وكأننا في عالمين مختلفين، يعيش الناس شيئا من الفقر كل يوم ويرون أشياء من الترف من وراء الشاشة في أخبار المساء، أجد تلك الأشياء في بعض الأحيان إستفزازا صريحا وأراها تارة أخرى إستحمارا واستصغارا لكل المشاهدين، لايكتفون بذلك فيقدمون عرضا من الرقصات في كل ليلة وكأنها مسكنات للآلام أو أدوية مشتتة للإنتباه، الأمر أشبه ببرنامج مدروس وموجه بعناية، أحس بأنهم يروننا كالأطفال يضربوننا بواقع أليم ثم يسكتونا ببعض الحلوى المتمثلة في برامج الرقص والغناء، والنتيجة شباب ضائع يدخن كل أنواع المخدرات في زوايا الأحياء.

كم سيتحمل عقل الإنسان أكثر هذا أكثر ما أفكر فيه الى أن أغلق عيناي باحثا عن زاوية في عالمي الخاص أعيش فيها لحظات من الفرح وأحصل فيها على قليل من الهواء النقي لكي أستطيع العيش أكثر، أسافر إلى إسطنبول الرائعة وأتجول في زواياها الغنية بالحياة وآخذ جولة على العبارة حول مضيق البوسفور مستمتعا برؤية قصر دولما باشا وحصن روملي وإخضرار الغابات المجاورة وتسابق الناس لركوب البواخر ثم أمر لأتمتع بجمال مسجد آيا صوفيا التاريخي وبعده ميناء أمينونو بالجانب الأوروبي حيث يمكن رؤية الكثير من العبارات في الشاطئ وعلى جانبه جسر للسيارات حيث يستمتع الناس أسفل هذا الجسر بجلسات شواء السمك مستمتعين بالبحر، هي واحدة من أهم الأماكن التي رسمتها في عالمي الخاص وأحسست في كل ثانية أغمضت فيها عيناي برغبة في الحياة من جديد، لاتتوقفوا عن الحلم فهو دواء الروح، تلك الروح التي أنهكتها مشاكل الدنيا، تلك الروح التي دمرها البعض متجاهلين مصير غيرهم، في

الحقيقة أحلام الكثيرين ليست بالصعبة ورغم ذلك أصبحت مستحيلة فلا يرغب الجميع في قصور وأملاك وسيارات فارهة فهناك من يجد راحته بالقليل فقط، العمل والسيارة والزواج هي حقوق أساسية أصبحت أحلاما بالنسبة لنا وكلما تعالت بعض الأصوات للمطالبة بها حتى نحس بأننا نعيش ولا نتنفس فقط فوجئنا بمشاكل أخرى كثيرة وتافهة من نسج العناكب أنستنا حتى طعم رغيف الخبز، لايمكن، لايحق لك، لاتستطيع، هكذا تبدأ جمل كل أميرال، من كثرة سماعنا لتلك الكلمات ماتت أرواح جيل بأكمله، أتذكر حين كنت أمر على مكتب شؤون الطلاب في الجامعة وأطلب شيئا ما من الموظف، أول كلمة يقولها هي لايحق لك وكأنها شعار تعلموه أثناء تكوينهم كما يتكون كلب الحراسة ويتعلم الانضباط لأوامر الشرطي، أتذكر إنفعالي عليه في كل مرة وكيف أنه أهمل بيانات نقطي واتهمني بسحبها مسبقا دون خجل، هو نفس الإنفعال الذي أحسه حين أريد الحصول على ورقة إدارية بسيطة ونفس الإنفعال حين أجد نفسي في كل مرة مجبرا على الركض من أجل بعض الاوراق اللازمة لإجتياز مباراة ما، يجعلونك تركض قبل الحصول على تلك الوظيفة فما بالك عندما تحصل عليها ولا أريد ذكر معالم خيبة الأمل التي رأيتها عند الفشل على وجه المتبارين فتلك قصة أخرى، في ذكرياتنا الكثير من الهموم تكفي لكتابة كتاب بأكمله أما قلوبنا فقد حفر على كل شريان منها هم مختلف، كيف يمكن حل كل هذه المشاكل دون إلحاق الأضرار لأي كان فنحن في زمن لايتحمل النزاع خاصة والذئاب متربصة حول السياج، لربما لو أحس الجميع بوطنيتهم لتغيرت الأوضاع فأينما ذهبنا يتبعنا أصلنا ولانجد نفس القبول في كل مكان، تربة هذا البلد إرتوت في الماضي بدماء شهدائنا فاستمرت بالإنتاج لكن مردودها تراجع وكأنها تحس بخيانة هذا الجيل لها وكأنها حزينة ولم تعد تحس بالحب، شكت همومها للسماء فإختلفت وتيرة تساقط الأمطار أيضا، دمرنا كل شيء بأيدينا وتحججنا بتغير الزمن وصعوبة هذا الوقت والحال أن عقلية الإنسان هي التي تغيرت حيث أصبحت أنانية وشريرة ومحبة لإفتعال المشاكل والإحتكار ورؤية الدمار حتى جعلتنا نحس بأننا في تجربة إجتماعية للتحمل، كم سيتحمل اليتيم والعاطل وكم ستتحمل

الأرملة والعانس وكيف ستوافق بين عملها وأطفالها تلك الموظفة المسكينة وكيف سينظر لوجه زوجته ذلك الرجل الذي فقد عمله، كلها عينة عن فئة من فئات هذا المجتمع تتألم في صمت، بالرغم من ذلك مازالنا على قيد الحياة ونرسم إبتسامة بين الحين والحين على وجوهنا كلما تذكرنا أحلامنا وشاركناها مع المقربين لنا، وإن كانت تبدو مستحيلة في بعض الأحيان لم يتخلى أحد عن أحلامه حتى من لم يحققها لازال ينتظر رؤية فلذة كبده يحققها، لازال هناك أمل ولن يختفي هذا الأمل مادام لنا رب كريم، لازلت مؤمنا باستفاقت أسوء العباد من غفلتهم محاولين إصلاح مايمكن إصلاحه ولم أفقد الأمل في أي مسؤول مهما كان جشعه، لازلت متأكدا من وجود شرارة خير في قلب أقسى الناس فلم يأتي شخص إلى هذه الحياة بقلب أسود أبدا، أرى السبيل إلى النجاة في التوقف عن توجيه أصابع الإتهام والتكاتف جنبا إلى جنب لتحقيق سلام إفتقدناه منذ زمن طويل، مهما كانت ثروة الإنسان فلن تنفعه منها سوى تلك الحسنات القليلة التي جناها من خلال إنفاقها، لو توقفنا عن إعتبار هذه الدنيا كسباق الماراثون سنرتاح جميعا وسننتج جميعا وسينجو كل فاقد للأمل بسبب مساهمة شخص كان يتهمه حتى الأمس القريب، يكفي أن نفكر في التغييرحتى نتغير، يكفي ان ننظر بعين التفاؤل حتى نستمر ويكفي أن نسامح حتى نصل.

على ذكر التسامح كم أحن لطفولة كانت أكبر همومنا فيها مسامحة أمهاتنا لنا على كسرنا لطبق أو إفسادنا لجهاز التحكم في التلفاز، في بعض الأحيان أرغب في البحث عن عقار يوقف نمو الإنسان حتى لايختنق الجيل القادم بالغاز الذي جفف أرواح جيلنا وجعل أغلبنا سجناء الغرفة، فليلعبوا كثيرا وليكن أكبر همومهم موعد الغذاء مثلا، فليتكاثروا حتى يضيفوا ألوانا على لون حياتنا الباهت لكن دون أن يكبروا، مع ضحك كل طفل أو طفلة يتغير مزاجنا ومع كل طلب يضيق صدر آخرين، لا أعلم متى أصبحت الحياة صعبة هكذا ومن كان سببا في ذلك فسابقا كانت البساطة لونا يتزين به الغني والفقير أما الآن فأصبحت علامة للفقير فقط بل موضوع سخرية بالنسبة لفقراء الأخلاق حتى أني أحس بأننا مقبلين

على زمن يشار فيه للبسيط بأصابع الإتهام إن لم نتغير، ستصبح البساطة تهمة وستصبح العفة محط انتقاد بين الأصدقاء وسيصبح السارق ذكيا في نظر الجميع، وإن كان قليل مما ذكرت متواجدا بالفعل في زمننا هذا إلا أنه تفكير دخيل أشبه بأمواج البحر التي تسحبنا للوراء، لم يسيطر كليا بعد لكنه ينتشر بسرعة رهيبة أشبه بسرعة إنتشار فيروس كورونا، لقد جعلنا كل شيء معقدا في حياتنا وانتقدنا الصغيرة والكبيرة حتى أصبحت عادة عند الكل ولم نفكر أبدا في الحل، لم نجد من يقول لنا كفى لقد تجاوزتم حدكم وبلغت تصرفاتكم درجة العجرفة والقرف، لم نسمع لبعضنا البعض وجعلنا من كل حديث بيننا سباقا للفوز فيه لإثبات ذكاء أو إشباع غرور غبي أحسسنا به لإفتقادنا لشخصية سليمة، وكأننا سجناء غرفة صغيرة في عقولنا تدعى "لاتنصت"، كل منا سجين لغرفة ما سيطرة على كل عقله، منا من هو سجين الغرور ومنا من هو سجين الحكم المسبق وآخرين سجناء الفتن وغيرهم سجناء الجشع، بين ليلة وضحاها وجدنا أنفسنا سجناء غرفنا نتيجة قرارات وتسيير لم نعلم أصحابها ثم أصبحنا سجناء عالم إفتراضي وفي الأخير سجن كل منا في منطقة من عقله، لم نتحرر لأننا لم نحس بالحاجة لذلك نتيجة هيمنة عيوبنا التي تجاهلناها علينا سواء بإرادة او بغير إرادة لأننا لم نقرأ ولم نجد من ينبهنا ولم نتأثر بأفكار غنية لأشخاص واعين، لم نقرأ فأصبحنا سجناء الغرفة.

تجاهلنا القراءة وأقنعنا أنفسنا بأننا نفهم كل شيء وبأننا سنتعلم من خلال عيش تجاربنا الخاصة فارتكبنا الكثير والكثير من الأخطاء كان بالإمكان تفاديها لو أننا قرأنا ونورنا بصيرتنا، لم ننجح لا في علاقات الغرام ولا علاقات الزواج ولا حتى تربية الأبناء، تدخل الأصدقاء بين المحبين كالشياطين ففرقوا بينهم لا لشيء سوى أن غيرتهم أعمتهم ولم يتحملوا رؤية سعادة المقربين منهم لأنهم لم يحصلوا على المثل، عادوا واجتمعوا بعد فراق طويل كان أو قصير فتدخل الوالدين ليكملوا اللوحة، أدخلوا الوساويس في عقول العاشقين وأجبروا الأبناء على الفراق لعدم انصياع أحد الأطراف لنزواتهم وتحججوا بسخطهم عليهم إن هم لم يحققوا

رغباتهم، بتفكيرهم الذي يعود للعهد الحجري أجبروا أطفالا لم يبصروا نور الحياة على القدوم دون سند يحميهم من برودة عاطفة ظلت دائما في قلوبهم مع مرور الزمن، أحسوا أنهم أيتام طوال حياتهم وأحسوا بنقص كالجرح الذي لايلتئم مهما كان العلاج، لإشباع غرورهم وسيطرتهم وتملكهم تحجج كثير من الوالدين بالدين تارة وبالسخط تارة أخرى، دائما ما استعملوا هذه الكلمات لإرضاخ أحد المحبين، بالنظر لحالات عدة من حولنا كل يوم يزداد حقدي على عقليات ضعيفة كهذه سيطرت على عقول أضعف وقيدتهم بسلاسل العاطفة ونظرة المجتمع والناس لهم إن هم عاندوا ولم يرضخوا، كأب يجبر إبنه على الطلاق لمجرد أن كنته لم تعجبه علما بأنها حامل، وكأنه هو زوجها وكأنه يرى إبنه أمامه كالطفل الصغيريوجهه كيف يشاء، كلما رأيت أشياء مماثلة أشعر بغضب شديد ولايغادر تفكيري حال ذلك الطفل الصغير القادم ويزداد هذا الغضب حين أرى تعاطف الناس مع مثل هذه القرارات غير مبالين أو مهتمين لابمشاعر الزوجين ولابمصير تلك الثمرة، بعضهم يثني على الزوج لعدم كسره لكلمة والده والبعض الآخر يخبره بأن الوالدين أعلم بمايصلح لأبنائهم ولا أحد يقول ما مصير تلك الثمرة وبأي حق تفرقونه عن والده لمجرد أن جده لم يعجب بخصال والدته، كم أغضب ممن يمارس عليهم الضغط العاطفي ولاينتفضون، لا أتقبلها كما لا أتقبل وضعي أمام الأمر الواقع بغية إجباري على شيء لا أريده، دائما ماكانت نظرة الناس نقطة ضعف بالنسبة للكثيرين منا حتى أنها سيطرة على حياتنا في بعض الأحيان والحال أن تلك النظرة لا تسمن ولاتغني من جوع فمهما قالوا اليوم سينسون غدا وسيبحثون عن ضحية جديدة لقتل الوقت، ذلك الوقت الذي لو استغلوه في قراءة شيء يغطي عيبا من عيوب شخصياتهم الفقيرة لكان أفضل لهم وللآخرين، لكننا لا نقرأ بل منا من يستهزء حين يشاهد من يقرأ كتابا في الحافلة، نستهزء بمن درس ولم يتعين في وظيفة ما ونستهزء بعامل النظافة حين تمر الشاحنة لجمع أزبالنا اليومية ولانترك راكب الدراجة وشأنه وننظر له بنظرة استصغار وفقر، لازلت أتذكر نظرة بعض التلاميذ لأصدقائهم القادمين مشيا ونحن على الحافلة في الطريق

للثانوية أي لطلب العلم، أي علم هذا الذي كنا نذهب لطلبه وشخصياتنا عقيمة وتافهة لدرجة التفكير في مثل تلك الأمور، أكثروا علينا بالمواد الدراسية لكن لم يغيروا فينا شيئا، تمنيت لو فرضت علينا مواد تطبيقية إجتماعية كمساعدة أصحاب المهن والحرف كلها حتى نتعلم بأن العمل يجب أن يحترم مادام حلالا طيبا حتى يتخلص الغني والفقير من نظراتهم البشعة لمصادر رزق الناس، لكننا للأسف ربينا في أنفسنا صفات جعلت هذا العالم كئيبا وتعيسا، لازلت أتذكرحديث صديقتين على الحافلة تسأل واحدة الأخرى عن عمل والد فتاة ترغب بها زوجة لأخيها، لم ينقصها شيء من الجمال أو العفة أو التربية الحسنة سوى بساطة عمل والدها، أي جواب صادم سمعته ذلك اليوم دون قصد جعلني أحس بكل أنواع الغضب، بصعوبة بالغة تمالكت نفسي حتى لا أعطيها جوابا ينسيها طريق العودة للمنزل أو يجعلها تستحي من الظهور أمام الناس خجلا مرة أخرى، كيف نلخص قيمة شخص ما في مجرد مهنة يزاولها أحد الوالدين و متى أصبحنا نتجرأ على هكذا أحاديث بصوت مرتفع علانية دون خجل وكأننا نستطيع لمس السماء بمجرد رفعنا لأيادينا للأعلى، أي نوع من التكبر والغرور وفقر الأخلاق هذا الذي يتحدث به ناس عاديون يركبون الحافلة وكيف يمكننا لوم من يسكنون القصور ولاتطأ أقدامهم الأرض سوى للدخول لشركاتهم أو التبضع من اغلى الأسواق والمحلات، إذا كانت الطبقة المتوسطة بهذا التفكير فلا يمكننا لوم أصحاب الطبقة الغنية، أصبحنا نرى بعضنا البعض كالحشرات أو الجراثيم فساهمنا في بناء عالمنا الكئيب هذا، كلنا مسؤولين عن حالة بلداننا لأننا لم نقرأ ولم نحاول التغير بل لم نرى حتى عيوبنا وبقينا سجناء غرفة صغيرة صنعناها في حيز صغير من عقولنا، لم نرغب في الخروج منها رغم إمتلاكنا للمفاتيح بل استمتعنا وتجاهلنا مكاسب الخروج، لم نرى لأبعد من أنفنا للأسف وتسلحنا بمبررات تافهة لم نقتنع بها يوما لكن تظاهرنا بالإقتناع ولم نبالي بشكوكنا الداخلية أبدا.

أقرأ يوميا وعود قبطان تلو الآخر بكنز سنحصل عليه عند مرحلة معينة من إبحارنا لكن دون فائدة، إنتظرنا الكنز في البداية ورضينا بقطع ذهبية فيما بعد وتمنينا قطعة فضية كلما طال الزمن ولم نجني حتى قطعة نحاسية في آخر المطاف بل أضعنا طريق العودة حتى وبقينا لمستقبل مجهول تماما، تصارعنا على فتات الطعام مع مرور الزمن وتصارعنا للبقاء على قيد الحياة وتغذينا على لحم من خسر الصراع منتظرين نهايتنا لكي نرتاح بدورنا، هكذا يبدو لي الحال وأنا أتجول في عالمي الازرق، الوعود تلو الوعود ولاشيء ملموس غير ظواهر عجيبة مفتعلة لتوجيه إهتمامنا ولأنني أرى مابين السطور إتخذت خطوة حظر كل صفحات الفتن والفجور وأغمضت عيناي سعيا لقليل من الهدوء كي لا أختنق أكثر فتخيلت نفسي كما أريد وتنقلت بين كل الأماكن التي حفرتها في ذاكرتي وقرأت عنها تاركا ورائي عالما مدمرا سينجوا بصعوبة بعد الآن،قادتني مخيلتي الى قصر الحمراء بغرناطة الاسبانية تلك التحفة المعمارية التي شيدت منذ القرن الرابع عشر والتي تتربع على أعلى هضبة للمدينة حيث يمكن مشاهدة كل زاوياها من ذلك المكان، خرجت من تحفة فنية وسافرت لحدث سنوي مشهور ينظم بين الرابع والسادس من يوليو في مدينة نافارا الإسبانية وهو ماراثون الثيران حيث الحماس والهيجان والتوتر والألبسة المختلفة، هوشعور يكفي لمحو سنوات من الألم وينسيك حتى أقسى الهموم ثم ختمت جولتي هذه المرة في دولة تعتبر هي الأصغر في العالم ومشهورة جدا تدعى الفاتيكان حيث تحتوي على نافورة تريفولي الشهيرة والتي تروي أسطورة العملة المعدنية وتحقيق الأحلام، تمنيت لو كانت هذه الأسطورة حقيقية حتى أتمنى تغير صفات كل سكان هذا العالم الى الأفضل لكي نعيش بسلام لكنها مجرد أسطورة.

عدت لواقعي بعدما كانت روحي تحلق عاليا، عدت على صراخ الجيران فقد تشاجر أحد سكان الحي مع زوجته وأمها، لم يبقى كلام فاحش لم يقال بالرغم من محاولة الجميع تهدئة الوضع في ذلك الوقت، الغريب في الأمر أن كل شيء عاد لمجراه الطبيعي في اليومين المواليين فلفت انتباهي شيء

مهم وهو مدى نزول مستوانا الأخلاقي فلم نعد نحترم بعضنا البعض أبدا ولم أجد مبررا سوى أنها حالة من فقدان الأعصاب،لكن لماذا نضغط على بعضنا البعض لدرجة الجنون مادمنا نعرف شخصية المقربين منا ولماذا نحاول النقاش مع بعضنا البعض أصلا بينما نحن غاضبين ذلك هو الشيء الذي لم أفهمه ولا أتحمله في تصرفاتنا، من يقوم غاضبا يجلس بخسارة، هي واحدة من أجمل العبارات التي قرأتها في حياتي لأنها تصف ما وقع وما سيقع بعد ذلك وكأنها نبوءة، للأسف هذه هي ردة الفعل الرائجة فنحن دائما نحاول حل مشاكلنا بالصراخ والشجار بل حتى العراك في بعض الأحيان والنتيجة دائما ماتكون الخسارة، سابقا لم يكن يهمني إن تشاجرت مع أحد ما حتى إن ضربته لم أكن أبالي لكن في مرحلة ما من حياتي أصبحت أحس بالشفقة حين أرى شخصا ما يتعرض للضرب خاصة إن لم يكن بإمكانه الرد، رؤية رجل يضرب ويحمر وجهه ويتراجع خطوة للوراء خوفا من تلقي اللكمة الموالية هي من أسوأ اللحظات بالنسبة إلي حيث يخيل لي كالطفل الكبير، المشكلة الحقيقية هي أن ذلك الضرب لن يأتي بأي نتيجة بل فقط سيعقد الأمور أكثرفتكسر ثقة ذلك الشخص بنفسه ويحس بأن ظلما شديدا أصابه ولم يقدر أن يحرك ساكنا ومع الوقت سيفكر بالانتقام بطريقة أو بأخرى وبهذا نكون قد أنتجنا لوحة فنية في غاية الروعة، إذا كنا نستطيع التحدث لماذا نستعمل أيدينا حين تتوتر الظروف، كم سيكون رائعا إن إنسحبنا إلى زاوية حتى تهدأ الأمور للتحدث برقي ووعي بعد ذلك وكم سيكون أروع لو أنصتنا محاولين فهم وجهة نظر الطرف الآخر بدل التسابق على الصراخ فقط لأننا بصدد الحديث مع من يخالفنا الرأي، كلما مررت بحوادث مماثلة أشعر وكأني مريض، وكأنه فيروس سريع المفعول يؤثر في إعداداتي على الفور ولا أجد السبيل للشفاء سوى بالإبتعاد في الحين عن ذلك المكان، لقد تحول هذا العالم إلى ساحة معركة حيث أصبحت أحس بأن للجميع حسابا مع الآخر، في حين أننا خلقنا لنعبد الله ونعمل صالحا أصبحنا أعداء لبعضنا البعض من اجل أمور تافهة مع أن الحل سهل ومتاح للجميع فيكفي أن ننصت ونحترم بعضنا البعض ولن نعيش أي شيء من هذه الحوادث نهائيا، وضعت

سماعاتي لسماع قليل من الموسيقى ودخلت عالمي الأزرق محاولا إيجاد فيديوهات مضحكة تغير مزاجي لكني إصطدمت بكوارث أخرى أهمها وأبشعها كان إغتصاب طفل صغير ودفنه بالقرب من مجمع سكني، صرخة والديه وحالتهم لم تغادر عقلي ولا أظن أنها ستتلاشى يوما، أصبحنا نعيش مع وحوش على هيئة إنسان، الكل كان يتألم لبشاعة ما أصاب تلك العائلة وتعالت الأصوات مطالبة بأقصى العقوبات لكني لم أجد أي عقاب كافيا له ولأمثاله فتذكرت حالة مماثلة وقعت في تركيا حيث أخصى والد الضحية الجاني ورماه للشارع والدماء تسيل،كان قد أخذ حقه بيده من شدة ألمه، لا أوافق على تلك التصرفات التي تجعل الإنسان جانيا في حين أنه صاحب حق لكني عندما سمعت بإحتمال خروج ذلك الحيوان بعد سنة واحدة من السجن كاد عقلي يطير من مكانه ولوهلة أحسست بأنه يستحق نفس مصير ذلك التركي، لا أشجع على تصرفات تؤدي للفوضى لكني تمنيت لو كان لدينا قانون حقيقي يحمينا بالفعل، رغبت بشدة في تطبيق الإعدام أو المؤبد مع الأعمال الشاقة في حقه لكن نظام القانون هنا لايدعم ذلك على حد علمي، كم أصبحت الروح رخيصة في مجتمعاتنا وكم إنتشر هؤلاء الوحوش وسط سكوت تام على أرض الواقع من الشعوب والإكتفاء بالصراخ والعويل في عالم أزرق إفتراضي، كلما رأيت مظاهرات لنصرة قضايا بلدان بعيدة كل البعد عنا وعن قضايانا يرتعش جسمي من شدة الأعصاب وأتساءل فقط لماذا لانتفاعل مع مايصيبنا ونهرول للخارج للتظاهر عندما يصيب شيء ما الآخرين، فمثلا عند سماعنا لمحاولة القيام بعمل إرهابي في بلد من بلدان أوروبا نتضامن معهم على الفور ويغير الجميع صورة حسابه الشخصي بل حتى نخرج للتظاهر لكننا لانقوم بنفس الشيء عندما يموت الكبير والصغير في سوريا وفلسطين ودول أخرى تعاني من الحرب، وكأننا لانرى مايصيبنا ونرى مصائب غيرنا، وكأننا نتعمد إيذاء أنفسنا، وكأننا كالمريض المخدر على فراش العملية، للأسف لانرى أحوالنا وإن رأيناها لانحرك ساكنا وإن تحركنا مرة واحدة في العمر نتحرك بشكل خاطئ ونؤذي أنفسنا من جديد وكل هذا راجع لسبب واحد وهو قلة الوعي، لسنا واعين نهائيا بما ينفعنا

ونتحرك بعاطفة لاتشتغل سوى مع الغريب بل حتى نقف ضد بعضنا البعض حين نسمع بقرار ما ينفع بلدنا وكأن بيننا عملاء لأشخاص آخرين يفضلون عرقلة العجلة على رؤية العربة بعد خط النهاية، أتعلمون ما هي أصعب الظروف؟

أظن أن الكل يعلم حين يرى من حوله فلم تبقى لاسكينة ولانجاح ولانفوس طيبة،أصعب الظروف تكون حين لايكون بإستطاعتك تغيير واقعك وواقع من حولك، أرى اليأس في كلمات الجميع وأحس بخوفهم من مستقبل مجهول أصبحوا متأكدين منه، لن ينفع الشك ولا الخوف ولا حتى التظاهر في قادم السنوات بل سيزيد الطين بلة وفقط إن حاول كل من جهته تغيير القليل سنتمكن من صنع قارب نجاتنا وإلا فلن ينفع لا مال ولا كلمات لتدارك الأمور لاحقا، سنتخلى عن أنانيتنا وجشعنا وتجاهلنا لأقل شخص منا مكانة إن أردنا العبور لليابسة وإلا سنغرق ولن ينجو أي أحد، سيشرد الفقير والغني أحدهم في موطنه والآخر في موطن آخر سيعيش فيه كالنكرة غير مرغوب به وإن أتاهم بحليب العصفور،لازلت أتذكر كلمات ماريا الفرنسية عند بداية كورونا حين طالبت كل إفريقي بالتداوي في بلده وعدم التفكير في الحصول على علاج في فرنسا لأننا أهملنا سنوات من الوقت كانت كفيلة بتأسيسنا لنظام صحي متكامل، لم تهتم لا للغني ولا للفقير ولم تضع كل مسؤولينا من صغيرهم لكبيرهم موضع الرجال واستصغرتهم علنا، حينها تأكدت بأنه لن يعيش أي أحد كما يعيش في موطنه فمتى الإستيقاظ من الغفلة لتحسين الأمور فعندما تشتد الظروف يضعنا الغير في كفة واحدة غير مبالين بمستوانا الطبقي ولابمكانتنا الإجتماعية.

ونحن نعيش تطور هذا العالم كل يوم أصبحت أرى الأحداث وكأنها عبارة عن مسرحية غبية هناك من يحاول إقناعنا بجديتها، كل شيء مبرمج ومعد منذ مدة من طرف أشخاص من كثرة تعمقهم في بناء الخطط الجهنمية أغفلوا مدى تطور ذكاء الشعوب حول العالم، لم يجدوا الفرصة للتفكير في هذا الجانب فقد كانوا مشغولين جدا، اليوم كلنا أصبحنا نرى اللوحة

بوضوح وكلنا على دراية بمسار السفينة لكننا لانبالي كثيرا فنحن شعب يؤمن بالقضاء والقدر ومهما كانت خطة الآخرين بشأننا اعلم بأن الأجل يحمينا فلن نغادر إلا في الوقت الصحيح، صراحة أشفق على هذه النوعية من البشر لأنهم يقضون كل حياتهم سعيا لأمور تافهة كالسيطرة على العالم أو توجيه الرأي العام الى اتجاه معين إلى أن يستقيظوا في يوم من الأيام على فراش الوداع لاهم بلغوا مخططاتهم ولا استمتعوا بجمال هذه الحياة، فهل استحقت أهدافهم كل ذلك العناء فعلا.

كلما رأيت أشخاصا يمتلكون ثروات كبيرة ولايستمتعون بحياتهم على الأقل في مرحلة معينة أشفق عليهم، منهم من أدخل نفسه معمعة السياسة ومنهم من صرف أمواله من أجل الانتقام ومنهم من أنفقها للقضاء على شخص أو أشخاص معينين و في حين كان بإمكانهم عيش حياة هادئة والاستمتاع بحريتهم سجنوا أنفسهم في غرفة ولم يستطيعوا التملص أو الهروب منها، هي غرفة يمكن أن يكون إسمها الغرور أو حب التملك أو جنون العظمة أو التكبر وضعف الشخصية، من قوة مكانتهم الإجتماعية لم يتمكنوا من إحكام السيطرة على سرعة تغير شخصياتهم فتحولوا إلى نوع آخر من البشر معتقدين أنهم خارقين للعادة والحال أن مجرد إصابتهم بالإنفلونزا تجعلهم يبدون كالأحياء الأموات، إنشغلوا بكل شيء إلا أنفسهم لذلك أشفقت عليهم باستمرار فدوام الحال من المحال ونهاية الطغيان كانت دائما الفشل والندم.

أصبحنا نعيش وسط مجانين بدرجات متفاوتة فلكل هاجس معين ولكل هدف إن لم يبلغه يتحول لحيوان مسعور، جعلنا هذه الحياة شيئا كبيرا في أعيننا وفي حقيقة الأمر ماهي إلا امتحان صغير لكيفية تعاملنا مع بعضنا البعض، وكأنها تجربة إجتماعية لرؤية ردة فعلنا مع متغيرات مجهولة نعيشها باستمرار، فهنيئا لمن عاش لنفسه ولم يفقد سيطرته على مجريات حياته فعند نقطة معينة نطرح جميعا على أنفسنا سؤال واحدا وهو هل استحقت الحياة كل ذلك العناء فعلا ؟

ليس عيبا أن نركض وراء طموحاتنا لكن دون إفراط أو تفريط، فالطموح الذي يدفع صاحبه للقيام بكل شيء شنيع لايسمى طموح وإنما هوسا يجعله سجين الغرفة فلا يعود مدركا لمدى تماديه ولايستيقظ إلا عندما يصل إلى نهايته السوداء حيث لاينفع الندم ولا طلب السماح والغفران.

التعمق في الأمور كان دائما مضرا بصحة الإنسان لذلك أغلق عيناي بين الحين والآخر مسافرا إلى عالم صنعته بنفسي في مخيلتي متجاهلا كل مايدور حولي حتى لاتفسد روحي ولا أسجن نفسي في غرفة الفوضى، فما نعيشه هو فوضى عارمة كانت دائما السبيل الوحيد لتنفيذ الخطط، وضعت نفسي هذه المرة في مضمار البحرين حيث يتوافد كل محبي الخيل حول العالم ومع كل سباق هناك حماس وتوتر ، لا أحب المراهنات لكني من عشاق الحماس أينما كان لذلك يعجبني مشاهدة وتتبع مثل هذه الأمور، من هناك انتقلت الى واحد من أفخم الاماكن في العالم وهو تاج محل المتواجد بالهند والذي يحكي قصة حب رقيقة خلدها التاريخ حيث من شدة حب الإمبراطور شاه جهان لزوجته بنى لها هذه التحفة التاريخية كي تدفن فيها وتخلد ذكرى ذلك الحب للأبد، ومن هناك ختمت جولتي هذه المرة في متحف مادام توسو للشمع الذي أسسته النحاتة الشهيرة ماري توسو حيث عرضت فيه كل منحوتاتها لكبار رجال السياسة والرياضة والفن حول العالم وحتى تمثالها الشخصي متواجد هناك، مع كل جولة أستطيع التنفس وأستطيع الإستمرار بالعيش وبالرغم من أن العودة لواقع مدمر تكون صعبة جدا إلا أنني ممتن من عاداتي هذه فلولاها لربما وجدت نفسي أيضا سجين الغرفة، عاداتنا اليومية لها الأثر الاكبر على مسار حياتنا فكلما كانت متنوعة كلما أنتجنا لأننا من خلالها نعتني بروحنا حتى لايصيبها الصدأ، كلما كانت عاداتنا مفيدة حافظنا على مزاجنا وارتحنا أكثر وكلما شعرنا بالراحة النفسية أحببنا الحياة ونظرنا بنظرة إيجابية للأمور، الرسم او الغناء أو ممارسة الرياضة أو حتى المشي لفترات قليلة كلها عادات إن مارسناها لدقائق معدودة شعرنا برغبة في الحياة أكثر وساهمنا بطريقة ما في تغيير مايحيط بنا، كلما حل الليل لاتبخلواوعلى

أنفسكم بعيش ثواني أو دقائق معدودة وكأنكم حققتم ماتسعون إليه في هذه الحياة ولا تعتبروها أشياء تبعدكم عن الواقع لأن واقعنا أليم لدرجة تجعل العاقل مجنونا بين ليلة وضحاها ولابأس إن لم نحقق هذه الأحلام فعلى الأقل توجد لدينا أحلام.

لنكن إيجابيين رغم كل شيء ولنحلم ونسعى لتحقيق هذه الأحلام ولنخلق فرصتنا بأيدينا رغما عن كل من يحبطنا فلقد أصبحوا كثر، فمنا من أحبطه من أحبه ومنا من أحبطه شخص من أسرته وكلنا أحبطتنا دولتنا لكن لازلنا نحاول كل منا بقدر مايستطيع فلا حياة بلا مجادلة، على ذكر إحباط الأحبة أتذكر بحزن كيف أحس بالإحباط صديق لي في الماضي من طرف الفتاة التي عشقها بشغف، لازلت أتذكر كيف أذلته لمجرد أنه سلم قلبه لها وأحبها بدون أخذ أي إحتياطات، وبختته بين الصديق والغريب وتجاهلته حين كان ينتظرها ووقف ينظر لها من بعيد حتى شبعت من الحديث مع مجموعة من الذكور المشاركين في لعبها السخيفة، بيني وبين نفسي تساءلت دائما عن سبب إذلال من يحبنا ولم أجد الإجابة، لازلت أتذكر كيف واسيته محاولا التخفيف عليه وهو في حالة جعلته يتحدث مع نفسه كالسفيه وسط الشارع، في حين كان بإمكانها مصارحته وإنهاء تلك العلاقة بود إختارت طرق الإذلال كي يبتعد تلقائيا ولايلومها أحد، تحكمت فيه وفي تصرفاته وأجبرته على إنفاق كل مالديه عليها وعلى صديقاتها ولم يتذمرولا مرة لمحاولاته اليائسة في إرضائها وفي الأخير ختمت تلك العلاقة بلعبة سخيفة بينها وبين صديقاتها في أحد المقاهي متهمة إياه بالخيانة وبعد مدة قصيرة أعلنت خطوبتها من شخص آخر،لا أفهم كيف نتهم بعضنا البعض بالتصرفات الحيوانية ونحن نقوم بأشياء لاتقوم بها حتى الحيوانات فلم أشهد منهم سوى الوفاء والصدق عكس تصرفات البشر المكرمين بعقل يفكر، بسبب غرورها رأت معاملته بتلك الطريقة أفضل من مصارحته بالحقيقة ورغم رجوعها بعد أشهر طالبة العفو على مابدر منها إلا أنني رأيت تصرفها ذلك أقبح من ذنبها والنتيجة كانت إحباط من أحبها بصدق، كم يعيش بيننا من أشخاص كرهناهم بسبب

إزدواج شخصياتهم وتلاعبهم بمشاعر الناس وفي بعض الأحيان بمصير الآخرين أيضا، لقد فشل صديقي في دراسته تلك السنة لكني لا أرغب في فشلكم ولتعملوا بأحد أهم مبادئي في الحياة وهو عدم السماح لأي كان بالإستمرار في إضراركم حتى ولو كان أحد الوالدين، فبمجرد سماحكم بذلك ستستمرون بخسارة الكثير من الأشياء في المستقبل وستلومون أنفسكم وستشعرون بأنكم خذلتم أنفسكم بنفسكم لأنكم لم تجرؤوا على المواجهة وضحيتم تضحية بالتأكيد لن يروها مستقبلا حتى أنهم سيلوموكم بطريقة ما وستشعرون بخيبة أمل لا مثيل لها، فمتى ما ضحينا من أجل من نحب توجعنا حين يخيب أملنا ولم نستطع تقبل تلك الحقيقة، لكل منا قصة يحكيها في هذا الجانب أنا متأكد لكن مايحزنني هو عدم أخذنا للعبر كأب يعمل في البورصا يفوز مرة ويخسر عشرات المرات ويستمر في ذلك الفشل رغم ذلك وكوالدين يدعمون إبنا مدمنا ويضعون في يديه أموالا وينتظرون نتيجة مختلفة عن سابقتها لكنه يضيعها في كل مرة وكزوجة تتحمل ضرب زوجها السكير كل ليلة رغم أنها ليست بحاجة له، كم أكره هذا العجز الذي أراه في تصرفات هذا المجتمع وكأنهم سجناء غرفة عنوانها رأي الناس، بسبب رأي الناس عاشت أسر مخاوف حتى كونت لدى بعض عناصرها مشاكل نفسية، كأم علمت بإغتصاب إبنتها من زوجها والتزمت الصمت خوفا من نظرات الناس وكإبن تعرض للنصب وخاف البوح لوالديه خشية سخرية المحيطين به وكأب لم يتجرأ على طرد أحد أبنائه من البيت بالرغم من كل المشاكل التي أجبر أسرته على عيشها تاركا الكل يعيشون مشاكل ليلية من صراخ وشجار وعتاب مستمر لا لشيء سوى أنه خشي نظرة العائلة والجيران له، للأسف نعيش سجناء لأفكار جعلت منا أمة متخلفة لأننا لم نواجه حتى الآن مخاوفنا،وأنا أفكر في كل هذه الأمور شعرت بمدى رقي فكر الأوروبيين حيث يخرجون من يضرهم من حياتهم على الفور دون مبالات ويكملون حياتهم بشكل عادي وكأنهم استأصلوا الداء وحصلوا على راحة نفسية لم يكونوا ليحصلوا عليها لو خاف كل واحد منهم من جهة وتصرف عكس ذلك، تقدمهم دائما كان لعدم تصرفهم بعاطفة وتسامح حين يكون المشكل كبيرا عكسنا تماما

وبسبب ذلك كانوا ناجحين وواقعيين ومتقدمين بينما لازلنا نخشى مراقب الحافلة رغم سوء خدمات الشركة، عشنا مستسلمين لكل ماوضعت الحياة أمامنا وربينا أولادنا على نفس التفكير حتى أصبح ميراثا يتوارثه الجميع،أنواع العجز مختلفة في الحقيقة ومجتمعنا معقد بشكل كبير فمثلا لم نتخلص الى يومنا هذا من نظرتنا البشعة للمطلقة حين ترغب في الزواج من رجل بكر ولازال بعض الأزواج يأخذون كل راتب زوجاتهم ولازالت بعض النساء تشعرن بمدى رجولة الرجل حين يتلقون الصفعات، إلاهي كم ضحكت واستغربت عند سماع بعض الجمل كامرأة تقول "لقد ضربني من أجل مصلحتي"و لازالت بعض المواقف المماثلة راسخة في ذهني كيوم شهدت واقعة فتاة من الحي تتلقى صفعة من شخص لو كنت أنا شخصيا فتاة لن أرغب حتى في النظر إليه، وهي تبكي تغيرت حالتها حين إلتفت وإنتبهت لوجودي ولم تعلم ماتفعل فضحكت والدموع على وجهها حتى تجعلني أشعر بأنه كان يمازحها فقط ثم استدارت وهي تبكي بحرقة ولا أنسى كيف احنت فتاة رأسها خجلا في الجامعة بسبب ركلة حبيبها لها على مستوى القدم بحذائه المتسخ حين كنت أمر بجوارهم ، أي حب هذا الذي يجعل الضرب أمرا عاديا فلا أتخيل نفسي أضرب من أحب إلا في حالة الخيانة، وربما حتى في تلك الحالة لن أرغب في ضرب إمرأة لشعوري بمدى ضعفها من هذا الجانب، القيمة التي نعطيها لأنفسنا هي من تحدد مكانتنا وسط المجتمع وفاقدها للأسف هو سجين غرفة صغيرة في عقله ولم يتحرر منها بعد.

بالرغم من أن تعقيدات هذا المجتمع لاتعد ولاتحصى إلا أني أرى أن المشكل الحقيقي هو عدم الإنتباه حتى لوجود مشكل فالكل يستمر في الحياة على نفس الشكل الذي وجد عليه مجتمعه ثم يتساءل الجميع عن الأسباب في عالم أزرق متبادلين كل أنواع الشتائم فيما بينهم وكأنهم قطيع محاط بسياج يتحرك بغرائزه فقط، وإن كان التعبير قاسيا إلا أني أشعر وكأننا قطيع محاط بسياج تحت أنظار الرعات، فكيف للمثقفين أن يتبادلوا الشتائم والسب دون التمكن من بناء حوار بسيط يسوده التحضروالتفاهم،

كمجموعة تحتوي على أساتذة المستقبل من كثرة الشتائم والدعوة الى الغش والتفكير في الحصول على وظيفة بأي شكل كان فقط من أجل الزواج والتمتع بفراش الزوجية يتساءل الإنسان مع أي نوع من البشر نعيش وكيف سيكون المستقبل مع أشخاص مثل هؤلاء لم يعرفوا حتى معنى التربية لكي يربوا أجيالا قادمة، أين نحن من البناء السليم لمستقبل مشرق والكل يعاني من فقر الأخلاق، أصبح التنافس بين الناس في كل شيء فالعائلة تتنافس فيما بينها ضاغطين على أبنائهم للحصول على معدلات ممتازة فقط للتباهي على بعضهم البعض حين يجتمعون وآخرون يتسابقون في نشر صور الطعام والامكنة التي يزورونها محاولين إثبات غنى مزيف لبعضهم البعض فالأغنياء ليس لديهم وقت لنشر أي شيء من كثرة أشغالهم، لا أعلم لماذا نحاول إثبات أشياء تافهة لبعضنا البعض أصلا ومتى ظهرت هذه الظاهرة الفاسدة التي حولت هذا المجتمع المستهلك والذي لايعرف سوى إنتاج التفاهة إلى هذا الشكل، متى ظهرت تلك الشخصيات العقيمة فكريا التي ساهمت في نشر هذه الطريقة في التفكير ومتى تكاثروا فقد كان لزاما ألا يسمحوا لهم لا بالظهور بين الناس ولا بالتكاثر، واقعنا أليم وبشع وما يزيد الأمر بشاعة هو عدم إدراكنا لعيوبنا وعدم محاولة إصلاحها والإنشغال بعيوب الآخرين.

أصبح التنفس صعبا وسط هذا المستنقع وأصبحنا مجبرين على العيش مع أشخاص لانستطيع لا التفاهم و لا التواصل معهم وكأننا ننافق بعضنا البعض، لم أجد سبيلا للنجاة والإستمرار على قيد الحياة سوى بتغذية ذاتي بالتفاؤل وإفراح روحي بالتفكير بأحلامي وطموحاتي وإن تعذر تحقيقها فأغمض عيناي عند نهاية كل يوم ممتنا من كل ما لدي ومبحرا بمخيلتي إلى عالمي الخاص الخالي من كل السلبيات التي نراها يوميا، أتجول من مكان جميل الى مكان أجمل غير مبالي بما ينتظرني في اليوم الموالي فالحياة قصيرة ولاتستحق كل هذه المعانات، وجدت نفسي هذه المرة بجوار برج القديس ستيفان في مبنى البرلمان البريطاني بلندن أشاهد جمال أشهر ساعة في العالم " ساعة البيغ بن" التي يبلغ وزنها لوحدها اثنا

عشر طن ونصف الطن ويصل ارتفاع البرج الذي يحملها الى حوالي ثلاث مئة وعشرين قدما وكل هذا بني وانتهى سنة 1856، من هناك انتقلت إلى صخرة سيجيريا الشهيرة المتواجدة بسيريلانكا وهي صخرة تعود لسنة 477 ميلادية ويوجد أعلاها قلعة كبيرة محصنة لحماية المدينة من الأعداء قديما ولا يمكن الوصول لها إلابتجاوز حوالي 1400 درجة، ومن ذلك المكان الجميل ختمت جولتي هذه المرة بمكان أجمل وهو "برج بيزا المائل" الذي يعتبر من عجائب الدنيا السبع والذي بني سنة 1173 حيث مال وبقي كذلك إلى يومنا هذا، كم هناك من عجائب أخرى في هذه الدنيا التي تجاهلنا جمالها وانشغلنا بتعبئة شخصياتنا وعقولنا بكل شيء سلبي، لطالما كانت العودة لواقعنا البشع أصعب لحظاتي ولطالما كان السؤال الأول الذي أطرحه على نفسي هو كيف السبيل للخروج من هذه الورطة، أصبحت أرى الحياة كالورطة بالفعل وأتعاطف مع من تركوها وأحس بأنهم قد نجوا حقا، هناك من يستيقظ للعمل وهناك من يستيقظ لتضييق الدنيا على شخص آخر كالجار الذي يضع حجرا كبيرا وسط الطريق حتى يجد جاره صعوبة في الخروج بالسيارة وكالجارة التي تستيقظ وتجلس في برج المراقبة المطل على كل زوايا الحي لتتبع الخارج من البيت والعائد إليه لنشر الأخبار كجريدة الصباح وآخرين يمشون بحذر خوفا من لص يبعثر إعدادات مزاجهم منذ الصباح الباكر، الكل في حالة ترقب واستنفار وكأننا في حالة حرب مع عدو ما، وعند تجاوز الخروج من البيت بسلام تبدأ مهام الموظف العادي حيث يبدأ عمله باقتراح فطور مجاني على من هو أعلى مرتبة منه وآخر يقدم التقرير اليومي بخصوص من أتى ومن ذهب لتعويض الفطور والحفاظ على علاقة مقربة أيضا، الجميع يبحث عن رضى أشخاص معينين عوض قيامهم بأعمالهم على أكمل وجه فهذا ما ترك لنا من سبقونا من عادات ونصائح، فبمجرد التصرف بشكل مختلف ومعاكس تتحول للعدو اللذوذ والمنبوذ ببساطة لأنك لم تتقمص شخصية ووضعية الذل، أصبح الصواب تصرفا مذموما وفعل الخطأ تصرفا مرغوبا فبدأت برؤية هذه المخلوقات العجيبة كالمكنسة بين يدي الساحرة حتى أني اتخيلهم رأسا على عقب رهن إشارة

من هو أعلى منهم درجة حيث يمسكون بأرجلهم مثل العصى ويكنسون الغبار بشعر رؤوسهم دون أي اعتراض منهم، تقبلت بعض الأشياء واعتبرتها من التصرفات الجاري العمل بها في كل مكان في هذا الزمن لكني لم أتقبل ابدا تصرف المتزوجة التي يرسلها زوجها للعمل لكنها لاتقوم بشيء سوى المزاح الفاسد منذ وصولها معتقدة أنها متقدمة فكريا أو متحررة أو صاحبة شخصية قوية كموظفات سمعتهمن يشاركن أصدقاءهم نكاتا مخلة بالآداب غير مبالين لا بمن يسمع ولا من يرى وكأنهم في خمارة وليس مكان للعمل، حياة العمل في الإدارات كانت دائما محببة بالنسبة لى إلى أن عشتها وجربتها،كرهت كل تفاصيلها فلقد صادفت أسوء أنواع البشر هناك حيث الكذب والنفاق والمؤامرات واختلاق القصص الكاذبة والتحدث عن أعراض الناس ومحاولة قطع رزق آخرين باستمرار تعتبر من المسلمات،متأكد أنه يوجد هناك الكثير ممن يوافقونني الرأي في أننا نعاشر شياطين في الإدارات المغلقة غالبا وليس بشرا عاديين، لكن السخيف في الأمر هو الراتب الذي يتقاضاه هؤلاء الناس فحين أفكر أن كل تلك الأعمال الشيطانية كانت من أجل راتب هزيل كالخروف الذي يعاني من سوء التغذية أنفجر ضاحكا وتدمع عيناي من شدة الضحك حين أستمع لآراء من ينتقدون التجارة ويبجلون الوظيفة فمايحصل عليه الموظف يمكن أن يحصل عليه التاجر الذكي في أيام معدودة وهذا جانب آخر من جوانب الورم والإعاقة في التفكير الذي يعاني منه هذا المجتمع، كأم تنتقد ابنتها الموظفة لأنها أحبت تاجرا لديه دكان خاص لبيع الملابس وكأنه يزاول مهنة فاسدة أو معدية، وأنا أشهد لقطات من حديث مماثل تساءلت من أين لتلك الأم بالملابس التي ترتديها فلولا أمثال ذلك التاجر لما استطاعت الخروج من البيت ولا حتى الظهور بين أبنائها في المنزل، لم نصل بعد لوعي يمكننا من احترام كل انواع المهن ولا زلنا نرى مهرب المخدرات شيئا عاديا بينما عمال جمع الأزبال شيئا يدعوا للخجل فنقول بأن تاجر المخدرات سيتوب ويعفو عليه الله ولا نقول بأن ذلك العامل سينجوا ويصبح غنيا بقدرة قادر في يوم من الأيام، أي منطق هذا الذي أصبحنا نتمتع به فحالنا أشبه بالسيارة المعطلة التي لا تستطيع التقدم، لم

ولن نتقدم مادامت إعاقتنا ذهنية ومادمنا نبرر لأنفسنا الفساد ونجيز ارتكابه ونتفنن في إيجاد الأجوية عند الحاجة، كالمريض الذي يعاني لازلنا على فراش العملية ولم نجتاز بعد مرحلة الخطر فأين ذلك الطبيب الماهر الذي سيعالجنا وأين العلاج أصلا، ماذا لو لم يظهر الطبيب وماذا لو طال الزمن حتى اكتشاف العلاج.

تمنيت لو كان المؤثرون المنتشرون على مواقع التواصل الاجتماعي مؤثرون فعلا كما يدعون لكني لم أرى منهم سوى محاولة الترزق على حساب المتابعين حتى أن بعضهم بدؤوا طريقهم سويا ثم تحولو إلى خراف تتناطح علانية وكل منهم يحاول الظهور بلباس الملاك والحقيقة أنهم فقط يتاجرون باهتمام رواد العوالم الافتراضية لعلمهم بأن جيل هذا الوقت يتأثر بمشاكل الأشخاص ويتابعونها كأنها مسلسلات يومية،لقد تحول عالمنا الافتراضي الى معركة بين بعض المشاهير المزيفين وكل يوم تنتشر قذارة جديدة من قذاراتهم، الغريب في الأمر أنه سابقا كان النزاع يقتصر فقط على العنصر النسوي لكن الآن إختلطت الأوراق ولم نعد نفرق بين الجنسين لأن التصرفات تشابهة تماما والمحزن في الأمر هو تهافت الناس على معرفة أخبارهم التي لاتسمن ولاتغني من جوع بل لا تفيد حتى ثقافيا، في السابق كنا نتابع المشاحنات والشجار في الأحياء والآن تقدمنا وأصبحنا نشاهدها على منصات افتراضية، للأسف استعملنا كل جديد في عالم التكنولوجيا لنشر الغباء وتأكيد فرضية المجتمعات الأخرى حين وصفونا بدول العالم المتخلف، فالنساء استعملوا هذه التكنولوجيا لنشر أجسادهم شبه عرات ونشر وجوههم الشبيهة بالارض القاحلة ملونة بمختلف الألوان وكأنهم سلعة تعرض في معرض مجاني لمحبي التبضع والشراء أما الرجال ولا أعلم إذا كانوا فعلا رجال فتسابقوا على التشبه بالنساء ونشر مقاطع على أساس الفكاهة ولم أعلم للآن لأي نوع من الفكاهة يروجون فلم أرى سوى مجموعة من الذكور لايخشون وضع أنفسهم موضع سخرية الجميع، لقد تقدمنا تقدما لم يشهد له العالم مثيلا حتى ترك المهندس مهنته واشتغل رقاصة في الحفلات مدعيا بأنه

تراث وجب الحفاظ عليه بينما أبدعت النساء ونشروا رياضة جديدة تدعى بالروتين اليومي فرأينا شتى أنواعه فلكل روتين جودة معينة حسب معايير هذه الرياضة الحديثة، بسببنا تجمع كل مؤسسي هذه المنصات الافتراضية في غرفة واحدة وعقدوا اجتماعات طارئة لابتكار تطبيقات تحارب هذه الانواع من الظواهر لمفعولها الفتاك على العقول، لقد وصلنا للقاع بينما نظن بأننا نسبح نحو الأعلى بل أصبحنا نتنافس في ذلك حتى، وبينما تتقدم دول أخرى في الأبحاث و العلوم صنعنا نحن العجائب كعجة البيض العملاقة مثلا وعوض أن نبحث بدورنا محاولين اللحاق بسفينة التقدم جلسنا نتمجد بأمجاد أسلافنا وندعوا على الغرب في المساجد لكن عندما إنتشر الوباء جلسنا ننتظر قدوم العلاج منهم دون حياء، أصبحنا مجبرين على ماسيقدموه لنا من مساعدات لأن عقولنا أصابها الصدأ ولم تعد تفكر سوى في الأكل والشرب والركض وراء الشهوات ثم دخول المرحاض، لوهلة بدى لي بأننا لانختلف كثيرا عن الحيوانات وربما أقل منهم مكانة حتى.

الاستفاقة من هذه الغفلة تحتاج للكثير من الوعي من وجهة نظري فلايمكن لشعب لايقرأ أن يتغير بأي شكل من الأشكال فمثلا حين أرى نقاشات بعض الأفراد حول متغيرات عالم السياسة تنتابني حالة من الضحك والبكاء في نفس الوقت ،أضحك على جهلهم بمجموعة من الأمور ومختلف أبعادها والإصرار على النقاش فيها وإدعاء المعرفة وأبكي على هذه العقلية المتخلفة التي لم تتغير إلى يومنا هذا، ياليت لو أن تلك النقاشات كانت تهدف لنشر الوعي بخصوص موضوع معين لتقبلتها واعتبرتها موجة فضول لكنها كانت نقاشات من أجل الفوز في النقاش فقط، فهم حين يتحاورون لاينصتون أبدا لبعضهم البعض بل يفكرون فقط في الهجمة المرتدة لإثبات عكس مايسمعون فأراهم أشبه بشخصين إلتقيا بعد زمن طويل وسلموا على بعضهم البعض بمختلف عبارات التحية والسلام ثم توقفوا واستأنفوا السلام من جديد ففي المرة الاولى كانوا يحيون بعضهم البعض بلا وعي تماما، بهكذا عقليات لايمكن لعجلة التقدم أن تدور

فالتغيير لابد من أن يبدأ من الفرد نفسه لأن شخصياتنا وللأسف ممتلئة بالعيوب، هناك من لديه عيوب في اتخاذ القرار وهناك من لديه عيب حب السيطرة والتملك وهناك من لديه عيب في طريقة تفكيره أساسا فيرى نفسه دائما على صواب ويرى الآخرين خاصة الأقرب إليه سببا في مشاكله ومهما قدموا له من عون لايثمر في نفسه ولايؤثر عليها مقدار ذرة واحدة وعند حلول أول رياح بسيطة يثور قائلا أنتم سبب معاناتي وهذه النوعية من البشر هي الأخطر على الإطلاق،لأن أقرباء هؤلاء الناس لن يسلموا يوما من مشاكلهم سوى بالفراق.

مجتمعنا مكون من مجموعة من الناس اللذين يعانون فعلا من مشاكل نفسية وهم ليسوا مدركين لها حقا كنوعية من البشر يحاولون أن يبحثوا عن شيء سلبي من وراء كل تصرف إيجابي من محبيهم فلو حاولت مساعدتهم ماديا اتهموك بمحاولة شراء رضاهم بالاموال وإن ساعدتهم معنويا إتهموك بمحاولة التقرب لغرض آخر وإن لم تفعل شيئا إتهموك بالأنانية وانعدام الوجدان والضمير، مهما فعلنا من أجل هذه النوعية سنبقى متهمين في نظرهم وهم لايعلمون أساسا بأن العيب فيهم وليس في أحد آخر، كم تمنيت لو كانت هناك مادة للعلاقات الإجتماعية النفسية مدرجة في المقررات الدراسية لكان لها أثر كبيرعلى أجيال المستقبل لكن للأسف كلما رأينا جيلا جديدا ترحمنا على الجيل الذي سبقه فالامور تسير من سيء لأسوء.

بتواجد عمل يومي يزاوله الإنسان لايكون هناك متسع من الوقت للتفكير في كل هذه الأمور فأغلبية العاملين يعودون متعبين لبيوتهم لكن بغياب العمل وانتشار البطالة تتزايد احتمالية التفكير في هذه الأمور وبتزايد التدقيق في كل صغيرة وكبيرة دون القدرة على تغيير أي شيء يتزايد عدد المنتحرين، فعندما تغيب الحلول هناك من يضعف ولايستطيع المتابعة فيتركنا باكرا واضعا نفسه في مشكل أكبر امام خالقه فليس من حقنا تقريرمصير حياة وهبها لنا الرحمان باي شكل من الأشكال فهي كالأمانة بين أيدينا ولم يكن الهرب من المشاكل يوما حلا من الحلول، من جهة

اخرى الغريب في مثل هذه الأمور هي تساؤلات بعض الناس والمسؤولين عن الأسباب وكأن بلدهم جنة من جنان الرحمان حيث الكل سعيد وممتن من حياته ووضعه، إنه لشيء مضحك بالفعل وأراه شبيها بأكل مال اليتيم ثم التسول له في محافل جمع التبرعات، كم هي دنيئة بعض التصرفات التي نراها وكم هي صغيرة عقول من يقومون بها حيث لايبصرون حجم الكارثة التي هم فيها والعذاب الذي ينتظرهم في دار البقاء، تراهم يتجبرون ويدعون القوة لكن طغيانهم ينتهي بمجرد إصابتهم بمرض بسيط فيتذكرون بأن الموت لقريب ثم نرى دموع التماسيح تنزل منهم مثل أشهر الشلالات في العالم على الشاشات، لكن بمجرد تجاوزهم لتلك المحنة تعود حليمة لعادتها القديمة.

لم أثق يوما بالظالمين ولم أرى انهم يستحقون المغفرة أبدا فالعفو عن الظالم هو ظلم للمظلومين لكن للأسف هم الفائزين في زمن أتاح لهم الفرصة لممارسة استبدادهم وألاعيبهم الشيطانية ،كيف لحالنا أن يتغير وبيننا من هم بهكذا شخصيات ولايوجد من يوقفهم عند حدهم، لابد أن كلا منا يعرف شخصا على الأقل بصفات مماثلة فمثلا لازلت أتذكر صديقا من طفولتي كان يحب دائما التسبب بالمشاكل للآخرين ولا أنسى يوم قام بالتبليغ عن صديقين لنا في القسم حين رآهما يتساعدان في فرض محروس لأن ابتزازه لهما لمساعدته لم ينفع، صرخ بأعلى صوته حتى تنتبه المعلمة وجلس يضحك رغم أنه سيحصل أيضا على علامة سيئة ولم تكن تلك المرة الأولى فلقد قام باستغلال كل فرصة وجدها لأذية الآخرين ولطالما وجدت شخصيته أشبه بشخصية العقرب فلابد أن يلدغك ولايهم السبب لأن بعض الناس هكذا يجدون متعة في تعذيب الآخرين ومع الوقت يتمادون ولايحسون بأنفسهم إلى أن يتحولوا لشياطين في هيئة إنسان، ذلك هو سبب عدم إكتراثهم بدموع الآخرين حين يرونها على الشاشات فلايتحرك في قلبهم أي إحساس بالتعاطف أو الحزن بل يضحكون ولايهتمون، لكن ما يثير الجنون هو حين يحشرهم أحد ما في زاوية الحوار في برنامج ما فتراهم يحاولون جاهدين تلفيق قصة ما والتحجج

بطفولة صعبة أو شيء من هذا القبيل ثم التباكي وما هي إلا وسيلة لنيل تعاطف المشاهدين، كم تمنيت لوكان بإمكاني كشف هؤلاء الناس دوما بطريقة ما فلا أطيق رؤية من لهم قناع ملائكي يظهرون به للعامة وحقيقة شريرة يخفونها، أشك بأنهم سيفقدون عقولهم إن لم يستطيعوا القيام بتلك الأعمال الشيطانية لأنهم جعلوا التخطيط لتعاسة الآخرين من أجل بلوغ أهدافهم الشخصية نمطا للحياة، للأسف هناك الكثير من الناس تعاني يوميا بسببهم ولايعلمون من حضر لكارثتهم والنتيجة هي انتشار التعاسة والخراب حتى أصبح الجميع يتمنى فقط القدرة على مسايرة هذه الاوضاع لأن الحياة أصبحت صعبة حقا.

وسط كل هذه المآسي آخذ يوميا استراحة قصيرة مغمضا عيناي مسافرا لعالم أبدعت مخيلتي في تصميمه لدرجة أني أنسى مايحيط بي فلولا تفاؤلنا الدائم وأحلامنا التي نحاول تحقيقها مادمنا على قيد الحياة، لما تمكنا من العيش وسط هذه الفوضى، لأصبح العالم أجمل لو أحس الكل بمسؤوليته تجاه الآخرين كل من موقعه ولأصبح جنة لو أحس الفرد بأمان وضمان لقمة عيشه بتواجد الطيبة في قلوب من هم من حوله، لو تخلى البعض عن جشعهم وطمعهم واحتكارهم لأشياء ليست حتى من حقهم في الأصل لما سمعنا صرخات المسكين في الفيديوهات كل يوم ولو إنشغل آخرون بالبناء لغد أجمل بدل تدبير المؤامرات لتشيع الحروب وتهدم بيوت المساكين لما عاشت الشعوب لاحسرة فقدان الأحبة ولا حالات الفقر، ما كان سيخصص للبناء خصص لشراء الأسلحة للأسف فمتى نرى عالما بدون تسلح او حروب وهل تكفي سنين عمرنا لنرى عالما مماثلا أو ستعيش الاجيال القادمة أيضا بالتأمل مثلنا هي الأخرى.

لازلت أرى الحل في إيجاد عيوبنا الشخصية ومعالجتها على الفور فهي أساس الكوارث لإختلاف درجاتها ووضعية أصحابها في المجتمع فلا يمكن للص ان يصون المال العام ولايمكن لمنحرف أن يدرس أبناءنا ولايمكن لعاشق الجنس اللطيف أن يصبح أستاذا ويتواصل مع الجنس الآخر ولايمكن لصديق السوء أن يقود لبر الأمان ولايمكن لأم شريرة

تقديم النصح لكي تحافظ ابنتها على بيتها ولايمكن للمدمن والسكير أن يصبح رجلا وصاحب مسؤولية إلا بمعالجة عيوبه حاله حال كل من لديه عيب في شخصيته جعلته يساهم بطريقة ما في هذه الفوضى.

لن نخرج منها سوى بمحاسبة الذات، لن نخرج منها سوى بالإلتفات لعيوبنا وحياتنا الخاصة، لن نخرج منها سوى بالتوقف عن التنمر على بعضنا البعض، لن نخرج منها سوى بإدراك حقيقة أننا في حاجة ماسة لتغيير طريقة تفكيرنا، لن نخرج منها سوى بإزالة العبأ عن قلوبنا كحال شخصين صادفا إمرأة غير عفيفة تحاول قطع الوادي، لم تستطع فطلبت العون منهما فأبى الأول قائلا لن أحمل إمرأة مثلها على ظهري بينما وافق الثاني على حملها وقطع الوادي بها ثم وضعها على الضفة الأخرى ذاهبة في حال سبيلها لكن الاول لم يكتفي واستمر في الكلام عنها محاسبا صديقه على حملها فكانت الإجابة الصاعقة كالتالي " أنا قطعت بها الوادي وأنزلتها من على ظهري فأنزلها انت من قلبك الآن" ، كم هو سهل لوم الآخرين وعتابهم والحقد عليهم وكم هو صعب أن نتعلم محاولة تفهم الطرف الآخرثم التصرف بحكمة بعد مرور العاصفة، لن ننجوا من الفوضى سوى بمراعات مشاعر الآخرين وتذكر أننا سنقف جميعا يوما أمام الخالق.

لا سبيل للنجاة سوى بالخروج من غرفة مشاكلنا النفسية الدفينة في حيز ما من عقولنا فحبيس الغرفة لايمكنه إنتاج سوى الدمار ولاشيء غير الدمار، قبل لوم الآخرين علينا النظر لأنفسنا وتصرفاتنا لربما ارتكبنا الكثير من الأخطاء دون قصد أو ادراك لأن الرجوع عن الخطأ هو مفتاح الخروج من الغرفة.

النهاية